

شواهد غريبة

على

تفوق حضارتنا الإسلامية

إعداد

محمد حمادة الشافعي

إهداء

إلى كل الذين يتناولون على الإسلام وحضارته،
إلى كل من يتصور أن الإسلام دين رجعية وتخلف،
إلى كل الذين يجهلون مكانة الحضارة الإسلامية، إلى
كل المساكين الذين يجهلون تاريخ الإسلام ودولته
وحضارته.. أهدي إليهم هذا الكتاب.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين، سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وبعده..

وقف الدكتور غريسيب، مدير جامعة برلين، ورئيس قسم الطب فيها، يتحدث في حفل أقامه الطلاب المسلمون في ألمانيا فقال: «أيها الطلاب المسلمون، والآن قد انعكس الأمر، فنحن الأوروبيون يجب أن نؤدي ما علينا تجاهكم، فما هذه العلوم إلا امتداد لعلوم آبائكم، وشرح لمعارفهم ونظرياتهم، فلا تنسوا أيها الطلبة تاريخكم، وعليكم بالعمل المتواصل لتعيدوا مجدكم الغابر، طالما أن كتابكم المقدس عنوان نهضتكم، ما زال موجوداً بينكم، وتعاليم نبيكم محفوظة عندهم، فارجعوا إلى الماضي لتؤسسوا المستقبل، ففي قرآنكم، علم وثقافة، ونور ومعرفة، وسلام عليكم يا طلابنا أن كُنَّا في الماضي طلابكم».

نعم، وربي، لقد صدق القائل فيما قال، فنحن المسلمين أرباب حضارة شامخة، ظلَّ العالم يرتشف منها عبر التاريخ، وما زال إلى يومنا هذا يعيش على ضيئها وعطاءها، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

عندما قرأتُ هذه الكلمات لأول مرة، أصابتنني الحسرة والألم، وقلت في نفسي: واخجلاله!! واحسرتاه!! الغرب يعرف قيمتنا، ونحن نشكك في حضارتنا.... واقع مؤلم، أن ترى أبناء الإسلام أنفسهم هم الذين يُشككون في ثوابت ورموز وتراث حضارتهم، في حين غيرهم ممن ليسوا على دينهم ولا من بلادهم يُشيد بتاريخهم ويقدرُ رصيدهم الحضاري.....

من أجل ذلك، رأيتُ أن من واجبي كمسلم أن أنافح وأدفع عن الإسلام وحضارته، في أن أجمع أكبر قدر من أقوال الغربيين وشواهدهم التي تشهد لحضارتنا الإسلامية بالتفوق العلمي، والانفتاح الحضاري، والأخلاق الطيبة والسيرة الحسنة.... حتى تكون أبلغ رد على أولئك الذين يتهمون الإسلام بالجمود والرجعية والانحدار.... وآثرت أن يكون هذا البحث خالٍ من أقوال علماء العرب والمسلمين؛ حتى لا يُقال محاباة ومجاملة لحضارتهم... أما الغرب فلا يُنتظر ولا يُتوقع منه المجاملة، والحق ما شهدت به الأعداء.

أسأل الله أن يؤتي هذا البحث ثماره، ولئن يهتدي به واحدٌ فقط خير إلي من الدنيا وما فيها... والله أسأل أن يردنا لكتابنا وشرعنا ومنهجنا ردًا جميلاً،

فهو ولي ذلك ومولاه، صلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين.

محمد الشافعي

بكالوريوس علوم جامعة الأزهر الشريف

فضل العرب على أوروبا

إن أوروبا مدينة للإسلام بالكثير جداً، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، مع أن أوروبا ذاتها لا تتكر هذا أبداً، وإليك بعض شهاداتهم في حق حضارتنا الإسلامية:

1) يقول جوستاف لوبون في كتابه «حضارة العرب»:

«وقد رأينا العرب ذوي أثر بالغ في تمدن الأمم التي خضعت لهم، وقد تحول بسرعة كل بلد خفقت فوقه راية الرسول ﷺ، فازدهرت فيه العلوم، والفنون، والأدب، والصناعة، والزراعة أيها ازدهار»⁽²⁾.

ويقول أيضاً: «أوروبا مدينة للعرب بحضارتها اللامعة الآن، ونحن لا نستطيع أن ندرك تأثير العرب في الحضارة العربية إلا إذا تصورنا حالة أوروبا عندما أدخل العرب الحضارة إليها»⁽³⁾.

ويقول أيضاً: «إن حضارة المسلمين قد أدخلت الأمم الأوروبية الوحشية في عالم الإنسانية، فلقد كان العرب أساتذتنا، وإن جامعات الغرب لم تعرف

1) يجب ملاحظة أن لفظ العرب عند كثير من المستشرقين يطلق ويقصد به المسلمون، كما هو الحال هنا.

2) نقلا عن علي عبد الله الدفاع: لمحات من تاريخ الحضارة الإسلامية والعربية ص 31.

3) علي عبد الله الدفاع، المصدر السابق، ص 59.

موردًا علمياً سوى مؤلفات العرب، فهم الذين مدّنوا أوروبا مادة وعقلاً وأخلاقاً، والتاريخ لا يعرف أمة أنتجت ما أنتجوا».

ويقول أيضاً: «ظلت ترجمات كتب العرب ولاسيما الكتب العلمية المصدر الوحيد تقريباً للتدريس في جامعات أوروبا خمسة قرون أو ستة قرون، ويمكننا أن نقول إن تأثير العرب في بعض العلوم كعلم الطب مثلاً دام إلى أيامنا، فقد شرحت كتب ابن سينا في مونبلييه في أواخر القرن الماضي.....ويواصل حديثه فيقول: كُتِبَ العرب وحدها عوّل روجر بيكون وليونارد البيزي وأرنو الفيلفوني وريمون لول وسان ثوما وألبرت الكبير والأذفونش العاشر القشتالي»⁽¹⁾.

ويقول أيضاً: «لم يقتصر فضل العرب والمسلمين في ميدان الحضارة على أنفسهم؛ فقد كان لهم الأثر البالغ في الشرق والغرب، فهما مدينان لهم في تمدنهم، وإن هذا التأثير خاص بهم وحدهم؛ فهم الذين هذبوا بتأثيرهم الخلقى البرابرة (الصلبيين)».

1. مصطفى السباعي: من روائع حضارتنا ص 83.

2) يقول ريتشارد كوك في كتابه «مدينة السلام»: «إن أوروبا لتدين بالكثير لإسبانيا العربية فقد كانت قرطبة سراجا وهاجا للعلم والمدنية في فترة كانت أوروبا لا تزال ترزخ تحت وطأة القذارة والبدائية، وقد هيا الحكم الإسلامي في إسبانيا مكانة جعلها الدولة الوحيدة التي أفلتت من هصور الظلام».

3) يقول «رينيه جييون»: «لم يدرك كثير من الغربيين قيمة ما اقتبسوه من الثقافة الإسلامية، ولا فقهوا حقيقة ما أخذوه من الحضارة العربية في القرون الماضية».

4) يقول المستشرق الإنجليزي توماس أرنولد: «كانت العلوم الإسلامية وهي في أوج عظمتها تضيء كما يضيء القمر، فتبدد غياهب الظلام الذي كان يلف أوروبا في القرون الوسطى».

5) يقول ليوبولد وايس: «لسنا نبالغ إذ قلنا أن العصر العلمي الحديث الذي نعيش فيه، لم يُدشن في مدن أوروبا، ولكن في المراكز الإسلامية في دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة... نحن مدينون للمسلمين بكل محامد

حضارتنا في العلم والفن والصناعة، وحسب المسلمين أنهم كانوا مثلاً للكمال البشري، بينما كنا مثلاً للهمجية»⁽¹⁾.

6) يقول جورج سارتون في كتابه «المدخل إلى تاريخ العلوم»: «إن بعض الغربيين الذين يحاولون التقليل من شأن مساهمة المسلمين الحضارية ويدّعون بأن العرب والمسلمين لم يزد دورهم على نقل العلوم القديمة ولم يضيفوا إليها شيئاً هم على ضلال مبین، فلو لم تنتقل إلينا كنوز الحكمة اليونانية، ولولا إضافات العرب والمسلمين الهامة عليها؛ لتوقف سير المدنية بضعة قرون. والواقع أن المسلمين أنقذوا العلوم القديمة وحفظوها من الضياع، وأضافوا إليها إضافات هامة أساسية».

ويقول أيضاً: «كثيراً ما يُهمل شرح الثقافة الغربية ما قام به الهنود والصينيون من تطوير للرياضيات، ولكن إهمال ما استحدثه العرب من تطوير من شأنه أن يفسد مفاهيم كاملة ويجعلها غامضة... ولقد ارتقى علماء المسلمين على أكتاف من سبقهم، كما ارتقى الأمريكيون على أكتاف الأوربيين، ولقد كانت اللغة العربية هي اللغة العالمية للرياضيات، بما لم تبلغه أي لغة أخرى، ولقد كانت الثقافة الإسلامية الجسر الرئيسي بين الشرق والغرب، فالثقافة

1. محمد أسد: الإسلام على مفترق الطرق، ص 400 & د. عبد المنعم النمر: الإسلام والمبادئ المستوردة، ص 84.

اللاتينية كانت غربية، والثقافة الصينية كانت شرقية، أما الثقافة الاسلامية فكانت شرقية غربية امتدت رقعتها من المسيحية في الغرب إلى البوذية في الشرق واحتكت بهما⁽¹⁾.

ويقول أيضاً: «عندما أمسى الغرب محتاجاً إلى معرفة أعمق بحقل العلوم عامة لجأ إلى المصادر العربية، لا إلى المراجع الاغريقية كما يدعي الغربيون»⁽²⁾.

ويقول أيضاً في كتابه «الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط»: «مما لا يقبل الجدل أن لعلماء العرب والمسلمين الذين تعلموا اللغة اليونانية والسريانية دوراً هاماً في بناء صرح الحضارة الإسلامية، وذلك لما قدموه من ترجمة مباشرة من اللغة اليونانية والسريانية إلى اللغة العربية، أو غير مباشرة وذلك بالنقل عن السريانية أو بالنقل عن اللغة السنسكريتية وغيرها من لغات شرقية أخرى»⁽³⁾.

1. علي عبد الله الدفاع، لمحات من تاريخ الحضارة الإسلامية والعربية، مصدر سابق ص55.

2. المصدر السابق ص59.

3. المصدر السابق، ص46.

4. المصدر السابق، ص36.

ويقول البروفسير جورج سارتون في مقالة له بمجلة «إزيس» تحت عنوان «الفلسفة الانسانية الحديثة»: «يدعونا الإنصاف في أي دراسة حول تطور الفكر الانساني إلى التركيز على المعارف والمكتشفات الإسلامية العظيمة»^(١).

ويقول جورج سارتون أيضاً: «لقد سبق للعرب أن قادوا العالم في مرحلتين طويلتين ظلت الأولى حوالي ألفي عام قبل اليونان وعاشت الثانية طوال أربعة قرون خلال العصور الوسطى وليس ثمة ما يمنع هذه الشعوب من أن تقود العالم مرة أخرى في المستقبل القريب أو البعيد».

7) يقول لوسيان سيديو في كتابه «تاريخ العرب العام»: «خلال العصر الذهبي للحضارة الإسلامية تكونت مجموعة من أكبر المعارف الثقافية في التاريخ، وظهرت منتجات ومصنوعات متعددة، واختراعات ثمينة تشهد بالنشاط الذهبي المدهش في هذا العصر... وجميع ذلك تأثرت به أوروبا، بحيث ينبغي القول بأن العرب كانوا أساتذتها في جميع فروع المعرفة، ولقد حاولنا أن نقلل من شأن العرب، ولكن الحقيقة ناصعة

يشع نورها من جميع الأرجاء، وليس من مفر أماننا إلا أن نرد لهم ما يستحقون من عدل، إن عاجلاً أو آجلاً»⁽¹⁾.

ويقول أيضاً: «كان العرب وحدهم حاملين لواء الحضارة الوسطى فدحروا بربرية أوروبا التي زلزلتها غارات قبائل الشمال، وسار العرب إلى منابع فلسفة اليونان الخالدة، فلم يقفوا عند حد ما اكتسبوه من كنوز المعرفة بل وسعوه وفتحوا أبواباً جديدة لدرس الطبيعة»⁽²⁾.

8) يقول برينولت في كتابه «تكوين الانسانية»: «حوّل العربُ بربرية الأمم القديمة إلى حضارة وثقافة فائقة النظر، وإن الشعوب الأوربية في آخر القرون الوسطى نهضت، وكان أكبر عامل في نهضتها هو الثقافة العربية»⁽³⁾.

9) يقول لوسيان لوكلير في كتابه «تاريخ الطب العربي»: «يجب أن لا ننسى أن فترة نشوء الحضارة العربية تميزت بالأصالة العميقة التي أصبحت منطلقها، فالشعوب المختلفة التي أتت على مسرح العلم، كانت تنهج

1. نقلا عن مصطفى السباعي: من روائع حضارتنا ص 84.

2. المصدر السابق ص 60.

على وجه التقريب قانوناً واحداً في تنشئة العلوم وتطويرها، ولكن ذلك اختلف عند علماء المسلمين، إذ كانت طريقة اكتسابهم للعلوم واستيعابهم لها مثلاً فريداً في التاريخ».

10) يقول آرنست رينان في كتابه «تعليقات على تواريخ الأديان»: «إن الآثار المحتوية على شتى الفنون والعلوم التي أضفاها علماء الإسلام على الكون التي نقلتها الحملات الصليبية إلى جميع بلاد الغرب وما وصل من احتكاك بين العرب وأوروبا عن طريق الأندلس و صقلية؛ أدى كل ذلك إلى إنعام المكتبات الأوربية الحاوية الفقيرة بكسور لا تفنى من العلم الذي أنتجته قرائح العرب، وكان من نتائجه انتشار الثقافة والازدهار العلمي في البيئة الأوربية بأسرها، كما رفع مستوى شعوبها إلى آفاق التمدن التي نشاهدها اليوم»⁽¹⁾.

11) يقول دلفان في كتابه «فاس وجامعتها»: «إن جامعة القرويين تعتبر أول مدرسة في الدنيا».

وكانت هذه الجامعة كذلك مركز التنوير العامة وتعمل على غرار الجامعات الشعبية في الغرب زيادة على كونها جامعة للمختصين ويقول محمد المنتصر

1. المصدر السابق، ص 60.

الكتاني في كتابه «فاس عاصمة الأدارسة» ما نصه: «وخطب القرويين كانت دروسا عامة للجميع، ومحاضرات علمية يحضرها الرجال والنساء والأطفال، ولا يُختار لها إلا كبار العلماء، وبلغاء الخطباء، والصالحون من الدعاة لتربية الشعب وتهذيبه وتعليمه وتوجيهه الوجهة الصالحة في دينه ودينه الجاهل أفراده».

وقد بنى علماء العرب والمسلمين مدرسة للطب في بلرم عاصمة صقلية، وهي أول مدرسة متخصصة عرفت في العالم بما في ذلك أوروبا، يقول عمر رضا كحالة في كتابه «مقدمات ومباحثات في حضارة العرب والإسلام»: «وفي بلرم أنشأ العرب أول مدرسة للطب، وما عهد مثلها في جميع أوروبا، بل إن مدرسة الطب في الغرب أنشئت بعد مدرسة صقلية العربية بأعوام، ومنها انتشر الطب في بلاد إيطاليا، فبدأت جامعات أوروبا تقلد الجامعات الإسلامية بنظمها السلسلة ويظهر ذلك فيما ذكره مدير جامعة الكويت حسن إبراهيم في مقابلة صحفية تحت عنوان رسالة الجامعة «الواقع والتحديات وكيف تخرج من برجها العاجي» نشرتها جريدة الرياض السعودية: «بلغت الحضارة العربية والإسلامية قممها في العطاء في القرنين التاسع إلى الحادي عشر، وكانت تتمتع في وطننا العربي والإسلامي

بجامعات ومؤسسات تعليمية على مستوى عال جداً، كانت هذه المؤسسات التعليمية تعج بالنشاط وتخرج العلماء في كافة التخصصات وكانت أوروبا في ذلك الوقت تغط في ظلام وعصور حالكة وكانت فكرة الجامعة الإسلامية في ذلك الوقت هي الفكرة السائدة⁽¹⁾.

تقول زيجريد هونكة في مقدمة كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب»: «.... لهذا صممتُ على كتابة هذا المؤلف، وأردتُ أن أكرمَ العبقرية العربية، وأن أتیح لمواطنيَّ فرصة العود إلى تكريمها، كما أردتُ أن أقدم للعرب الشكر على فضلهم، الذي حرّمهم من سماعه طويلاً تعصب ديني أعمى أو جهل أحمق. وكم سررتُ أن يترجم كتابي هذا إلى اللغة العربية حتى أستطيع أن أحدث مباشرة قلوب العرب بما يعتمل في نفوسنا من المشاعر، وآمل مخلصاً أن يحتل هذا الكتاب مكانه في العالم العربي أيضاً كسجل لماضي العرب العظيم وأثرهم المثمر على أوروبا والعالم قاطبة. وأنتهز هذه الفرصة لأقدم شكري الخاص على كل ما لقيته من مودة أثناء رحلاتي وإقامتي في بلادكم، وأن أكرر الشكر لأصدقائي العديدين من العرب الذين أحاطوني بكرمهم ورعايتهم وعلموني أن أحب العرب والفكر العربي وأعجب بها».

1. المصدر السابق، ص 139

وتقول في طيات كتابها أيضا:

1. إن الغرب بقي في تأخر ثقافياً واقتصادياً طوال الفترة التي عُزل فيها عن الاسلام ولم يواجهه. ولم يبدأ ازدهار الغرب ونهضته إلا حين بدأ احتكاكه بالعرب سياسياً وعلمياً وتجارياً. واستيقظ الفكر الأوربي من سباته الذي دام قرونا على قدوم العلوم والآداب والفنون العربية ليصبح أكثر غنى وجمالاً وأوفر صحة وسعادة.

2. لقد حول العرب الأندلس في مائتي عام حكموها من جذب فقير مستعبد إلى بلد عظيم مثقف مهذب يُقدس العلم والفن والأدب، قدم العرب لأوروبا سُبُل الحضارة وقادها في طريق النور.

3. كان شبابنا في أوروبا يتشبهون بلباس العرب المسلمين، ويتفاخرون بنطق العربية فيما بينهم.

4. لو لم يبعث الشعب العربي الموهوب في حضارات البحر المتوسط روحاً جديداً؛ لاندثرت تلك الحضارات تماماً كما حدث لحضارات المايا والإنكا.

(12) يقول رام لاندو في كتابه «الاسلام والعرب»: «لايوجد سبب

منطقي يبرر الفهم بأن العرب فقدوا الصفات التي مكنت أجدادهم من

التفوق الحضاري، فهم لا يزالون يملكون تلك القيمة، ويستطيع أي

إنسان عاش بين العرب أن يتأثر بإنسانيتهم ومقدرتهم العلمية»⁽¹⁾.

ويقول أيضاً في كتابه «مآثر العرب في الحضارة»: «إن المسلمين قدموا كثيراً

من الفتوحات في العلوم، ومع ذلك فإن معظم الأمريكيين والأوروبيين لم

يعودوا يتذكرون من أي مستودع أخذ العالم المسيحي الأدوات التي لا يسع

الحضارة الغربية أن تصل إلى مستواها الحالي إلا بها»⁽²⁾.

13) يقول نيكلسون في كتابه «تاريخ أدب العرب»: «لقد رافق التوسع

العربي نشاط فكري لم يعهد الشرق مثله من قبل، حتى صار المسلمون

كلهم طلاباً للعلم إبتداءً من الخليفة إلى أقل المواطنين، لقد أصبحوا

طلاباً للعلم، أو على الأقل من مناصريه، وكان العلماء يسافرون في

طلب العلم عبر القارات الثلاث، ثم يعودون إلى بلادهم وكأنهم نحل

تشبع بالعسل، ليُفضوا بها جمعوا من محصول علمي ثمين إلى حشود من

التلاميذ المتشوقين للعلم، وليؤلفوا بهمة عظيمة تلك الأعمال التي

اتصفت بالدقة وسعة الأفق، والتي استمد منها العلم الحديث - بكل ما

1. الدفاع، مصدر سابق، ص60.

2. المصدر السابق ص49.

تحمل هذه العبارة من معان- مقوماته بصورة أكثر فعالية مما
نفترض⁽¹⁾.

14) يقول كركمور في مقالة نشرها في «مجلة مدرس الرياضيات» بعنوان
«منزلة الرياضيات في الهندوفي البلاد العربية خلال العصور المظلمة
الأوروبية»: «لا نعرف عملاً واحداً من أعمال العصر الذهبي الإغريقي لم
يترجمه العرب ويفهموه فهماً جيداً»⁽²⁾.

15) يقول ول ديورانت في كتابه «قصة الحضارة»: «وبلغ الإسلام في
ذلك الوقت أوج حياته الثقافية وكنت تجد في ألف مسجد متشرة من
قرطبة إلى سمرقند، علماء كانت تدوي أركانها بفصاحتهم، وكانت
قصور مائة أمير تتجاوب أصداؤها بالشعر والمناقشات الفلسفية، ولم
يكن هناك من رجل يجرو أن يكون مليونيراً من غير أن يعاضد الأدب
والفن، ولقد استطاع العرب أن يستوعبوا ماكان عند الأمم المغزوة من
ثقافات بما اتصفوا به من سرعة الخاطر وقوة البديهة، حتى أظهر الغزاة
كثيراً من التسامح تلقاء الشعراء والعلماء والفلاسفة، الذين جعلوا

3. المصدر السابق ص48.

1. المصدر السابق ص 41.

حينئذ من اللغة العربية أوسع اللغات علماً وأدباً في العالم، بحيث ظهر العرب الأصلاء وكأنهم قلة بالنسبة إلى مجموعهم»⁽¹⁾.

ويقول أيضاً: «لا شك أن تحامل وإجحاف كثير من المؤرخين الغربيين على التراث العربي الإسلامي كان سبباً في ضياع تاريخ علماء أمة الإسلام، إلا أنني أعتقد جازماً أن إهمال المسلمين أنفسهم لتراثهم وتاريخهم كان السبب الرئيسي الأول لذلك الضياع».

16) يقول جوليفه كستاو في كتابه «قانون التاريخ»: «أوروبا مدينة بالهواء النافع الذي تمتعت به في تلك العصور للأفكار العربية، فقد انقضت أربعة قرون ولا حضارة فيها غير الحضارة العربية، وعلماءها هم حملة لوائها الخفاق».

17) نشر الأب اليسوعي الأسباني جون اندريس - وهو أول باحث أوروبي أشاد بفضل العرب على الحضارة الأوروبية وثقافة عصر النهضة - كتاباً بالإنجليزية، في القرن الثامن عشر، تحت عنوان «أصول كل الآداب وتطورها وأصولها الراهنة» في سبع مجلدات، أكد فيه على

2. المصدر السابق ص 37.

أن النهضة الأوروبية في كل الميادين العلمية والفنية والصناعية مردها إلى ماورثته عن حضارة العرب⁽¹⁾.

18 (18) تقول الدكتورة لويجي رينالدي: «.. لما شعرنا بالحاجة إلى دفع الجهل الذي كان يثقل كاهلنا، تقدمنا إلى العرب ومددنا إليهم أيدينا لأنهم كانوا الأساتذة الوحيدين في العالم»⁽²⁾.

19 (19) يقول المستشرق درايبير: «ينبغي أن أنعي على الطريقة التي تحايل بها الأدب الأوربي ليخفي عن الأنظار مآثر المسلمين العلمية علينا! إن الجور المبني على الحقد الديني، والغرور الوطني لا يمكن أن يستمر إلى الأبد»⁽³⁾.

20 (20) يقول المستشرق نيكلسون في كتابه «تاريخ العرب الأدبي»: «ما المكتشفات اليوم لتحسب شيئاً مذكوراً إزاء ما نحن مدينون به للرواد العرب الذين كانوا مشعلاً وضيئاً في القرون الوسطى المظلمة ولاسيما في أوروبا»⁽⁴⁾.

(1) خالد سليمان الخويطر: جهود العلماء المسلمين في تقدم الحضارة الإنسانية ص250.

(2) أنور الجندي: مقدمات العلوم والمناهج، مجلد 7 ص141.

(3) د. عماد الدين خليل: تشكيل العقل المسلم، ص 94.

(4) نقلاً عن د. حسان شمسي باشا: هكذا كانوا يومئذ ص 8.

21) ها هو ذا الدكتور غريسيب، مدير جامعة برلين، ورئيس قسم الطب فيها، يقول في حفل أقامه الطلاب المسلمون في ألمانيا: «أيها الطلاب المسلمون، والآن قد انعكس الأمر، فنحن الأوروبيون يجب أن نؤدي ما علينا تجاهكم، فما هذه العلوم إلا امتداد لعلوم آبائكم، وشرح لمعارفهم ونظرياتهم، فلا تنسوا أيها الطلبة تاريخكم، وعليكم بالعمل المتواصل لتعيدوا مجدكم الغابر، طالما أن كتابكم المقدس عنوان نهضتكم، ما زال موجوداً بينكم، وتعاليم نبيكم محفوظة عندكم، فارجعوا إلى الماضي لتؤسسوا المستقبل، ففي قرآنكم، علم وثقافة، ونور ومعرفة، وسلام عليكم يا طلابنا أن كُنَّا في الماضي طلابكم»⁽¹⁾.

22) يقول الأستاذ كويلويونج أستاذ العلاقات الأجنبية بجامعة برنستون في محاضرة ألقاها في هذه الجامعة: «وبعد، فهذا عرض تاريخي قُصد به التذكير بالدين الثقافي، الذي ندينُ به للإسلام، منذ أن كنا نحن المسيحيين نسافر داخل العواصم الإسلامية وإلى المعلمين المسلمين؛ ندرس عليهم العلوم والفنون وفلسفة الحياة والإنسانية»⁽²⁾.

(2) أحمد علي الملا: أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، دار الفكر، دمشق 1981م، ص143.

(3) نقلاً عن د. حسان شمسي باشا: مصدر سابق، ص8.

(23) يقول مونتنجو مري وات، أستاذ الدراسات الاسلامية في جامعة France de Collee في كتابه «فضل الإسلام على الحضارة الغربية»: «ويبدو أن الكثيرين من الباحثين الأوروبيين يترقون الموضوع مع بعض التحيز ضد العرب، بل إنه حتى أولئك الذين يمتدحونهم، إنما يفعلون ذلك وكأننا يُضنون عليهم بالثناء. فالبارون كارادوفو الذي كتب الفصل الخاص بالفلك والرياضة في موسوعة "تراث الإسلام" اضطر إلى الإبتداء بتحقيق بشأن العرب فقال: لا ينبغي أن نتوقع أن نجد لدى العرب تلك العبقرية الخارقة، وتلك الموهبة المتمثلة في المخيلة العلمية، وذلك الحماس، وذلك الابتكار في الفكر، مما نعرفه عن الإغريق، فالعرب قبل كل شيء كانوا تلاميذ للإغريق، وما علومهم إلا استمرار لعلوم اليونان التي حافظوا عليها ورعوها، وفي بعض الحالات طوروها وحسنوها».

غير أنه يمضي بعد ذلك فيشرح هذه النقطة الأخيرة ويعترف: «بأن العرب قد حققوا بالفعل إنجازات رائعة في ميدان العلوم، فقد علمونا استخدام الأرقام (العربية) رغم أنهم لم يبتكروها، وبهذا باتوا مؤسسي الحساب المستخدم في الحياة اليومية. وقد جعلوا من الجبر علماً دقيقاً،

وطوروه تطويراً عظيماً، كما وضعوا أسس الهندسة التحليلية. وقد كانوا، بدون أدنى شك، مؤسسي علم المثلثات الذي لم يكن معروفاً لدى الإغريق. أما في مجال الفلك فكان لهم عدد من الملاحظات القيمة».

ويخلص البروفيسور «مونتجومري وات» إلى القول: «إننا معشر الأوروبيين نأبى في عناد أن نقر بفضل الإسلام الحضاري علينا، ونميل أحياناً إلى التهوين من قدر وأهمية التأثير الإسلامي في تراثنا، بل ونتجاهل هذا التأثير أحياناً تجاهلاً تاماً. والواجب علينا أن نعترف اعترافاً كاملاً بهذا الفضل. أما إنكاره أو إخفاء معالمه فلا يدل إلا على كبرياء زائف».

ويتحدث البروفيسور «مونتجومري وات» عما حدث إبان الحروب الصليبية فيقول: «وكان تشويه الأوروبيين لصورة الإسلام ضرورياً لتعويضهم عن إحساسهم بالنقص. فالتكنولوجيا الإسلامية كانت متقدمة عن التكنولوجيا الأوروبية في كثير من الميادين. فقد حاول الباحثون المسيحيون في ذلك الوقت إقناع المسيحيين الآخرين بأنهم في حربهم ضد المسلمين إنما يجاربون من أجل نصرته النور على قوى الظلام، وأنه حتى وإن كان المسلمون أقوىاء، فإن دينهم خير من الإسلام!».

ويستطرد البروفيسور مونتيجومري وات فيقول: «فليتحدثوا إذن عن النور والظلمة، غير أننا في عالم اليوم، نعلم جيداً أن الظلمة التي ينسبها المرء إلى أعدائه ما هي إلا إسقاط للظلمة الكامنة فيه هو، والتي لا يريد الاعتراف بها، وعلى ذلك فإنه ينبغي علينا أن ننظر إلى الصورة المشوهة للإسلام باعتبارها إسقاطاً لما اكتنف عقول الأوروبيين من جهالة. فأما العنف والإفراط في إشباع الشهوات اللذان أتهم بهما المسلمون، فكانا شائعين في أوروبا رغم المثل المسيحية العليا».

ويختتم كتابه بالقول: «ومتى ألمَّ المرء بكافة جوانب مواجهة المسيحية للإسلام في العصور الوسطى، وضح له أن تأثير الإسلام في العالم المسيحي الغربي هو أضخم مما يظن عادة. فلم يقتصر دور الإسلام على تعريف أوروبا الغربية بالكثير من منتجاته المادية، واكتشافاته التكنولوجية، ولا على إثارة اهتمام الأوروبيين بالعلوم الفلسفية، بل إنه دفع أوروبا إلى تكوين صورة جديدة لذاتها. وقد أدت مواجهة الأوروبيين العدائية للإسلام إلى تهوينهم من شأن أثر المسلمين في حضارتهم، ومبالغتهم في بيان أفضال التراث اليوناني والروماني عليهم. ومن ثم فإن من أهم واجباتنا معشر الأوروبيين الغربيين، والعالم في سبيله عالماً واحداً، أن نصحح هذه المفاهيم

الحاظة، وأن نعرف اعترافاً كاملاً بالدين الذي ندين به للعالم العربي والإسلامي»⁽¹⁾.

دور اللغة العربية في تقدم أوروبا

24) يقول جورج سارتون في كتابه «المدخل إلى تاريخ العلوم»: «لقد كُتبت أعظم المؤلفات قيمة وأكثرها أصالة وأغزرها مادة باللغة العربية خلال العصور الوسطى، وكانت اللغة العربية من منتصف القرن الثامن حتى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي لغة العلم الارتقائية للجنس البشري، حتى أنه كان يستوجب على من أراد أن يلم بثقافة عصره وبأحدث صورها أن يتعلم اللغة العربية أولاً»⁽²⁾.

ويقول أيضاً: «كثيراً ما يُهمل شرح الثقافة الغربية ما قام به الهنود والصينيون من تطوير للرياضيات، ولكن إهمال ما استحدثه العرب من تطوير من شأنه أن يفسد مفاهيم كاملة ويجعلها غامضة... ولقد ارتقى علماء المسلمين على أكتاف من سبقهم، كما ارتقى الأمريكيون على أكتاف الأوربيين، ولقد كانت اللغة العربية هي اللغة العالمية للرياضيات، بما لم تبلغه أي لغة أخرى،

1. نقلاً عن د. حسان شمسي باشا: هكذا كانوا يوم كُنا، ص11.

2. انظر: علي عبد الله الدفاع، لمحات من تاريخ الحضارة الإسلامية والعربية، مصدر سابق ص26

ولقد كانت الثقافة الاسلامية الجسر الرئيسي بين الشرق والغرب، فالثقافة اللاتينية كانت غربية، والثقافة الصينية كانت شرقية، أما الثقافة الاسلامية فكانت شرقية غربية امتدت رقعتها من المسيحية في الغرب إلى البوذية في الشرق واحتكت بهما»

ويقول أيضاً: «عندما أمسى الغرب محتاجاً إلى معرفة أعمق بحقل العلوم عامة لجأ إلى المصادر العربية، لا إلى المراجع الاغريقية كما يدعي الغربيون». ويقول أيضاً: «المسلمون عباقرة الشرق، لهم مآثر عظمت على الإنسانية، تتمثل في أنهم تولّوا كتابة أعظم الدراسات قيمة، وأكثرها أصالة وعمقاً، مستخدمين اللغة العربية التي كانت بلا مرء لغة العلم للجنس البشري... لقد بلغ المسلمون ما يجوز تسميته: معجزة العلم العربي»⁽¹⁾.

(25) يقول بير جشتريسر في كتابه «مدخل إلى اللغات السامية»: «إن اللغة العربية قد أدت مهمتها كاملة كأداة كافية للتعبير العلمي الدقيق، وليس هناك مجال لمن ادعى أنها عاجزة عن مواكبة عصر التقنية الآن»⁽²⁾.

(1) نقلاً عن د. حسان شمسي: هكذا كانوا يوم كنا، مصدر سابق ص8.

(2) الدفاع، مصدر سابق، ص106-107.

26) يقول دوزي في كتابه عن الإسلام من رسالة ذلك الكاتب الأسباني (الغارو) الذي كان يأسى أشد الأسى لإهمال لغة اللاتين والإغريق والإقبال على لغة المسلمين، فيقول: «إن أرباب الفطنة والتدوق سحرهم رنين الأدب العربي فاحتقروا اللاتينية، وجعلوا يكتبون بلغة قاهريهم دون غيرها»⁽³⁾.

وساء ذلك معاصراً كان على نصيب من النخوة الوطنية أوفى من نصيب معاصريه فأسف لذلك مز الأسف وكتب يقول: «إن إخواني المسيحيين يعجبون بشعر العرب وأقاصيصهم، ويدرسون التصانيف التي كتبها الفلاسفة والفقهاء المسلمون، ولا يفعلون ذلك لإدحاضها والرد عليها بل لاقتباس الأسلوب العربي الفصيح، فأين اليوم - من غير رجال الدين - من يقرأ التفاسير الدينية للتوراة والإنجيل؟ وأين اليوم من يقرأ الأناجيل وصحف الرسل والأنبياء؟ وأسفاه! إن الجيل الناشئ من المسيحيين الأذكياء لا يحسنون أدباً أو لغة غير الأدب العربي واللغة العربية، وإنهم ليلتهمون كتب العرب ويجمعون منها المكتبات الكبيرة بأغلى الأثمان ويترنمون في كل مكان بالثناء على الذخائر العربية، في حين يسمعون

(3) نقلا عن مصطفى السباعي: من روائع حضارتنا ص 86.

بالكتب المسيحية فيأنفون من الإصغاء إليها محتجين بأنها شيء لا يستحق منهم مؤنة الإلتفات. فيا للأسى! إن المسيحيين قد نسوا لغتهم، فلن تجد فيهم اليوم واحداً في كل ألف يكتب بها خطاباً إلى صديق، أما لغة العرب فما أكثر الذين يحسنون التعبير بها على أحسن أسلوب، وقد ينظمون بها شعراً يفوق شعر العرب أنفسهم في الأناقة وصحة الأداء».

(27) يقول ديتير ميسنر في كتابه «الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس»:

«إن تأثير اللغة العربية - لغة الطبقة العليا في اللغات المحكية في شبه الجزيرة الأيبيرية - قد أضفى على اللغات القشتالية والبرتغالية والقطلونية مكانة متميزة بين اللغات الرومانسية... ولم تقتصر التأثيرات العربية على شبه الجزيرة الأيبيرية فحسب، بل إنها كانت واسطة لنقلها إلى لغات أخرى كالفرنسية».

ولا حاجة بنا إلى أن نذكر ما دخل اللغات الأوربية على اختلافها من كلمات عربية في مختلف نواحي الحياة؛ حتى إنها لتكاد تكون كما هي في العربية؛ كالقطن، والحرير الدمشقي، والمسك، والشراب، والجرة، والليمون، والصفير، وغير ذلك مما لا يحصى. وحسبنا في هذا المقام قول الأستاذ ماكيل: «كانت أوروبا مدينة بأدبها الروائي إلى بلاد العرب، وإلى

الشعوب العربية الساكنة في النجد العربي السوري تدين بأكبر قسم أو بالدرجة الرئيسية لتلك القوى النشيطة، التي جعلت القرون الوسطى الأوربية مختلفة روحاً وخيلاً عن العالم الذي كان يخضع لروحه».

تفوق العلوم عند المسلمين إجمالاً:

(28) كتب برايان ويتيكري Whitaker Brian في صحيفة الغارديان الإنجليزية Guardian الصادرة في سبتمبر 2004م يقول: «إن بيت الحكمة كان مركزاً لدراسة العلوم الإنسانية والعلوم، بما في ذلك الرياضيات والفلك والطب والكيمياء وعلم الحيوان والجغرافيا. ودرست هذه العلوم اعتماداً على النصوص الهندية والفارسية والإغريقية، في أعمال أرسطو وأفلاطون وأبقراط وإقليدس وفيثاغورس وغيرهم. وجمع العلماء أكبر كمية من الكتب في العالم ثم بنوا عليها بفضل اكتشافاتهم الخاصة بهم».

(29) يقول ول ديورانت في كتابه «قصة الحضارة»: «وجملة القول أن ابن سينا أعظم من كتب في الطب في العصور الوسطى، وأن الرازي أعظم

أطبائها، والبيروني أعظم الفلكيين فيها، والإدريسي أعظم الجغرافيين فيها، وابن الهيثم أعظم علمائها في البصريات، وجابر بن حيان أعظم الكيميائيين فيها، تلك أسماء ستة لا يعرف عنها العالم الغربي في الوقت الحاضر إلا القليل، وإن عدم معرفتنا إياها ليشهد بضيق نظرنا وتقصيرنا في معرفة تاريخ العصور الوسطى. إن الثقافة العربية نمت في علم الكيمياء بالطريقة التجريبية العلمية، وهي أهم أدوات العقل الحديث وأعظم مفاخره، ولما أعلن روجر بيكن هذه الطريقة إلى أوروبا بعد أن أعلنها جابر بن حيان بخمسمائة عام كان الذي هداه إليها هو النور الذي أضاء له السبيل من عرب الأندلس، وليس هذا الضياء نفسه إلا قبسا من نور المسلمين في الشرق»⁽¹⁾.

30) يقول لوسيان سيديو في كتابه «تاريخ العرب العام»: «وإذا بحثنا فيما اقتبسه اللاتين من العرب في بدء الأمر وجدنا أن جربرت الذي أضحى بابا باسم سلفستر الثاني أدخل إلينا بين سنة 970 وسنة 980م ما تعلمه في الأندلس من المعارف الرياضية، وأن أوهيلارد الإنجليزي طاف بين

(1) ول ديورانتيت: قصة الحضارة 196/13 & نقلا عن علي عبد الله الدفاع: لمحات من تاريخ الحضارة الإسلامية والعربية ص42 & وعن خالد سليمان الخويطر: جهود العلماء المسلمين في تقدم الحضارة الإنسانية ص252.

سنة 1100 وسنة 1128 في الأندلس ومصر فترجم من العربية كتاب الأركان لإقليدس الذي كان الغرب يجهله، وأن أفلاطون التيقولي ترجم من العربية كتاب الأُكر لثاذوسيوس، وأن رودلف البروجي ترجم من العربية كتاب الجغرافيا في المعمور من الأرض لبطليموس، وأن ليونارد البيزي ألف حوالي سنة 1200 رسالة في الجبر الذي تعلمه من العرب، وأن كنيانوس النبري ترجم عن العرب في القرن الثالث عشر كتاب إقليدس ترجمة جيدة شارحاً له، وأن قيتليون البولوني ترجم كتاب البصريات للحسن بن الهيثم في ذلك القرن، وأن جيرارد الكريموني أذاع في ذلك القرن أيضاً علم الفلك الحقيقي المتين بترجمته المجسطي لبطليموس والشرح لجابر إلخ... وفي سنة 1250م أمر الأذفونش القشتالي بنشر الأزياج الفلكية التي تحمل اسمه، وإذا كان روجر الأول قد شجع على تحصيل علوم العرب في صقلية ولاسيما كتب الإدريسي، فإن الإمبراطور فردريك الثاني لم يبد أقل حرصاً على دراسة علوم العرب وآدابهم، وكان أبناء ابن رشد يقيمون ببلاط هذا الإمبراطور فيعلمونه تاريخ النباتات والحيوانات الطبيعي»⁽¹⁾.

(1) د. مصطفى السباعي: من روائع حضارتنا، مصدر سابق ص42.

31 ذكر العلامة محمد كرد علي في كتابه «الإسلام والحضارة العربية ص

548» أنه في سنة 890م حين أراد أذفونش (ألفونسو) الكبير أن يتدب

مؤدباً ومعلماً لابنه وولي عهده، استدعى اثنين من مسلمي قرطبة حرصاً

على تهذيبه وتعليمه، إذ لم يجد في النصارى إذ ذاك كفوًا لهذه المهمة.

32 يقول كونستان جيورجيو: «لا يمكن أن نجد ديناً يحتل العلم

والمعرفة فيه محلاً بارزاً كما كان الأمر في الإسلام»⁽¹⁾.

33 يقول دانييل بريفولت في كتابه «نشأة الإنسانية ص 84»: «ومنذ

القرن الثامن الميلادي بدأت إشراقة الحضارة العربية الإسلامية تمتد من

شرقي المتوسط إلى بلاد فارس شرقاً وإسبانيا غرباً، فأعيد اكتشاف قسم

كبير من العلم القديم، وسجلت اكتشافات جديدة في الرياضيات،

والكيمياء، والفيزياء، وغيرها من العلوم... وفي هذا المجال، كما في

غيره، كان العرب معلمين لأوروبا، فساهموا في نهضة العلوم في هذه

القارة».

2) د. عبد المعطي الدالاتي: حضارتنا في عيون الغربيين، مقال على الإنترنت.

34) يقول المؤرخ الأمريكي بريفولت أيضاً في كتابه «بناء الإنسانية»: «ليس ثمة مظهر واحد من مظاهر الحضارة الأوربية إلا ويعود فيه الفضل للمسلمين بصورة قاطعة»⁽¹⁾.

35) يقول سنيوبوس: «ولقد جمعت العرب وقربت جميع الاختراعات والمعارف المأثورة عن العالم القديم في الشرق (كالإيونان وفارس والهند والصين)، وهم الذين نقلوها إلينا، ودخل كثير من الألفاظ في لغتنا؛ وهي شاهدة بما نقلناه عنهم، وبواسطة العرب دخل العالم الغربي الذي كان بربريا في غمار المدنية. فإذا كان لأفكارنا وصناعتنا ارتباط بالقديم؛ فإن جماع الاختراعات التي تجعل الحياة سهلة لطيفة قد جاءتنا من العرب، وأخذ الأوربيون من العرب صنع الجوخ في جملة ما أخذوا من الصنائع، وكان أهل بيزا الإيطاليون ينزلون مدينة (بجاية) في الجزائر؛ فتعلموا منها صنع الشمع، ومنها نقلوه إلى ديارهم وإلى أوروبا»⁽²⁾.

36) يقول ريسون: «إن استبحار عمران العرب مع سرعة انتشار سلطتهم في المعمور عرّفنا إلى مكانة المدنيّة العربية، فكانت هذه الحضارة

1- رويلت بريفولت: بناء الإنسانية، نقلاً عن أنور الجندي: مقدمات العلوم والمناهج (4/710).

2- محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية (1/233).

الباهرة في القرون الوسطى مزيجاً من المدنيّة البيزنطية والفارسية، وقد تم هذا المزيج المدني بأمرين: عشق العرب التجارة وغرامهم بالعمران، وأصبحوا لذكائهم الوقّاد ولما عُرس فيهم من حب الاطلاع على كل شيء يخوضون غمار العلوم الطبيعية والرياضية، ولهم المنّة على جميع الأمم بأرقامهم العربية، وباستنباطهم فن الجبر والمقابلة وتهذيبهم الهندسة»⁽¹⁾.

37) يقول جلين ليونارد: «يجب أن تكون حالة أوروبا مع الإسلام بعيدة من كل هذه الاعتبارات الثقيلة، وأن تكون حالة شكرٍ أبديٍّ، بدلاً من نكران الجميل الممقوت والازدراء المهين، فإن أوروبا لم تعترف إلى يومنا هذا - بإخلاص صادق وقلب سليم - بالدين العظيم المدنيّة به للتربية الإسلامية والمدنية العربية، فقد اعترفت به بفتورٍ وعدم اكتراث؛ عندما كان أهلها غارقين في بحار الهمجية والجهل في العصور المظلمة فقط، ولقد وصلت المدنيّة الإسلامية عند العرب إلى أعلى مستوى من عظمة العمران والعلم؛ فأحيت المجتمع الأوربي وحفظته من الانحطاط، ولم نعتف - ونحن نرى أنفسنا في أعلى قمة

1. المصدر السابق ص231.

من التهذيب والمدنية- بأنه لولا التهذيب الإسلامي، ومدنيّة العرب وعلمهم وعظمتهم في مسائل المدنية، وحسن نظام مدارسهم، لكانت أوروبا إلى اليوم غارقة في ظلمات الجهل»⁽¹⁾.

(38) يقول بريفولت: «ولم يكن سيكون إلا رسولاً من رسل العلم والمنهج الإسلامي إلى أوروبا المسيحية، وهو لم يمل قط من التصريح بأن اللغة العربية وعلوم العرب هما الطريق الوحيد لمعرفة الحق»⁽²⁾.

(39) ذكر خالد سليمان الخويطر في كتابه «جهود العلماء المسلمين في تقدم الحضارة الإنسانية ص 251» بعض شهادات المنصفين من الغرب في حق الحضارة الإسلامية، فذكر:

1- قول ليبري: «لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا في الآداب والعلوم عدة قرون».

2- وقول جوستاف لوبون، في كتابه حضارة العرب: «إن العرب هم الأمة التي حفظت لنا تراث الأقدمين من اليونانيين وغيرهم، لا رهبان القرون الوسطى الذي كانوا يجهلون حتى اسم اليونان».

2. المصدر السابق، ص 82.

1- دانييل بريفولت: بناء الإنسانية، نقلاً عن أنور الجندي: مقدمات العلوم والمناهج (4/710)

3- وقول المؤرخ الأمريكي (أوثر لايسي) في خطبة له أمام حشد من عرب سوريا، في الولايات المتحدة: « ... ومنكم تعلمنا الكسور العشرية، وحساب التفاضل، والمقابلة، ومنكم تعلمنا القول بكروية الأرض... وشعركم وآدابكم كانت منهلاً استقى منه أدباء الفرنسيين والاطليان والانجليز، ومنهم جاء دور البعث والتجديد في أوروبا».

4- ثم اختتم هذه الشهادات بقوله: وهنا استشهاد، لم يأت من أحد الأوربيين، بل جاء من مؤرخ مسلم كبير، نورده هنا من خلال النموذج الذي قدمه لنا، لأحد علماء المسلمين الأندلسيين، الذين كان لهم الأثر في علوم الغرب: أما المؤرخ فهو (ابن الخطيب) المشهور صاحب كتاب (الإحاطة في أخبار غرناطة)، أما النموذج العالم فهو (محمد بن أحمد الرقوتي المرسي)، يقول عنه ابن الخطيب في كتابه ذلك: «كان طرفاً في المعرفة بالفنون القديمة: المنطق، والهندسة، والعدد، والموسيقى، والطب، فيلسوفاً وطبيباً ماهراً، آية الله في معرفة الألسن، يقرئ الأمم بألسنتهم فنونهم التي يرغبون في تعلمها، مترفقاً،

متعاطياً. عرف طاغية الروم ^(١) حقه، لما تغلب على مرسية، فبني له مدرسة يقرئ فيها المسلمين، والنصارى، واليهود، ولم يزل معظماً عنده....

وأسأل هنا، كم كان يكفي أوروبا من أمثال الرجال العلماء من صنف الرقوطيني لكي تتعلم وتتحضر؟ اعتقد أنهم كانوا من الكثرة، بحيث يصعب عددهم، والأكثر منهم تلك الكتب التي ترجمت والأغرب إنكار كل هذا كان لم يكن.

40 ألقى الأمير تشارلز -ولي عهد بريطانيا- محاضرة رائعة في مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية تحت عنوان «الإسلام والغرب» جاء فيها حرفياً: «إذا كان هناك قدر كبير من سوء الفهم في الغرب لطبيعة الإسلام، فإن هناك -أيضاً- قدرًا مساويًا من الجهل بالفضل الذي تدين به ثقافتنا وحضارتنا للعالم الإسلامي... فإسبانيا في عهد المسلمين لم تقم بجمع وحفظ المحتوى الفكري للحضارة اليونانية والرومانية، بل فسّرت تلك الحضارة وتوسعت بها، وقدمت إسهامات مهمة من جانبها في كثير من مجالات البحث الإنساني في العلوم، والفلك،

1. صاحب الروم هو: ملك مملكة ارغون الأسبانية، واسمه (جايمش الأول) (ت: 675-1276م)، وكان سقوط مرسية في يده عام (164هـ - 1265م).

والرياضيات، والجبر -الكلمة نفسها عربية - والقانون، والتاريخ، والطب، وعلم العقاقير، والبصريات، والزراعة، والهندسة المعمارية،.... ولقد كانت قرطبة في القرن العاشر أكثر المدن تحضرا في أوروبا، كما أن كثيرا من المزايا التي تفخر بها أوروبا العصرية جاءت أصلاً من إسبانيا في أثناء الحكم الإسلامي فالدبلوماسية، وحرية التجارة، والحدود المفتوحة، وأساليب البحث الأكاديمي، وعلم الإنسان، وآداب السلوك، وتطوير الأزياء، والطب البديل، والمستشفيات جاءت كلها من تلك المدينة العظيمة.

وفوق ذلك، فإن الإسلام يمكن أن يعلمنا طريقة للتفاهم والعيش في العالم؛ الأمر الذي فقدته الديانة المسيحية؛ مما أدى إلى ضعفها، ويكمن في جوهر الإسلام حفاظه على نظرة متكاملة للكون؛ فالإسلام يرفض الفصل بين الإنسان والطبيعة، والدين والعلم، والعقل والمادة، إن هذا الشعور المهم بالوحدانية والوصاية على الطابع القدسي والروحي للعالم من حولنا شيء مهم يمكن أن تتعلمه من جديد من الإسلام⁽¹⁾.

1- محاضرة «الإسلام والغرب» والتي ألقاها في مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية في السابع والعشرين من أكتوبر عام 1993م، وقد وزعت السفارة البريطانية بدمشق النص المترجم، ثم طبع على نفقة الأمير تشارلز في كتيب صغير & انظر: د. راغب السرجاني: ماذا قدم المسلمون للعالم ص 736.

41) يقول فون كريمير: «وإن أعظم نشاط فكري قام به العرب يبدو لنا جلياً في حقل المعرفة التجريبية ضمن دائرة ملاحظاتهم واختباراتهم. فانهم كانوا يبدون نشاطاً واجتهاداً عجبياً حين يلاحظون ويمحصون، وحين يجمعون ويرتبون ما تعلموه من التجربة أو أخذوه من الرواية والتقليد. ولذلك فإن أسلوبهم في البحث أكبر ما يكون تأثيراً عندما يكون الأمر في نطاق الرواية والوصف. ولذا يحتل التاريخ والجغرافية المقام الأول في أدبهم، وبصفتهم أصحاب ملاحظة دقيقة، وبصفتهم مفكرين مبدعين فإنهم قد أتوا بأعمال رائعة في حقل الرياضيات والفلك. وللسبب ذاته نجح العرب في التشريع وفي وضع قواعد اللغة من صرف ونحو في شكل شامل محكم، ولكن من جهة ثانية نجد أنهم في حقل المعرفة النظرية والتفكير التجريدي لم يستطيعوا أن يتعدوا حدود الفلسفة الأرسطوطاليسية والأفلاطونية. وعندما كانوا يحاولون الخروج من إطار الفلسفة الإغريقية كان الخيال الشارد يؤدي بهم إلى خيالات وأوهام، وأخيراً إلى نوع من الغيبية التي لا شكل لها»⁽¹⁾.

¹ Culturgeschichte des Orients II, 466, (vinna, 1875-7)

42) يقول سارتون في كتابه «الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط»⁽¹⁾:

1. إن الفتوح العربية لم تكن نتيجة صراع بين برابرة جياح وبين سكان مدن أخذوا يتقهقرون في سلم المدنية، بل كانت في الأكثر صراعا بين دين جديد وثقافة جديدة ناشئة في المحل الأول، ثم بين ثقافات منحلة متعادية قلقة في المحل الثاني. هذه الفتوح كانت إلى حد بعيد تتخذ طبيعة حرب صليبية مضادة، لقد كانت انتصارا للهِلال على الصليب...

2. إن تاريخ العلم يجب أن يكون النواة لكل تاريخ الحوادث الإنسانية، والإجماع واقع على أن تاريخ العلم بدأ، على التحقيق، في المكان الذي تواضعنا على أن نسميه بالشرق الأوسط، مع أنه من المستحيل علينا أن نجزم في أي قسمي هذا المكان بدأ، أفي القسم الغربي منه في مصر، أم في القسم الموغل نحو الشرق، في ما بين النهرين؟.. إن ديننا لمصر ولما بين النهرين عظيم، إنه عظيم جدا، حتى أن موجزا قصيرا فقط، لما بلغه هذان البلدان الموهوبان في العلم، تفيق عنه هذه المحاضرة، ولكن دعوني أذكركم بحقيقة واحدة هي أن هذين البلدين كليهما اكتشفا

1. سارتون: الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط، ترجمة د. عمر فروخ، ص 20,26,28,30,32 & انظر: د. محمد عمارة: الإسلام في عيون غربية ص 223, 224.

وسائل الكتابة... ونحن على كل حال مدينون للأمتين كليهما بنشوء الفن والأدب والرياضيات والفلك والكيمياء وبصناعات آخر. وإنما نحن الغربيين مدينون لهم بكتابنا المقدس نفسه وبديننا وقواعد أخلاقنا دينا كبيرا.

3. إن الحقيقة القائلة بأن مهد المدنية الغربية كان على ضفاف النيل والفرات ودجلة لم تكن تفهم حق الفهم قبل عصرنا الحاضر. أما الآن فإنها قد أصبحت واضحة أجلى الوضوح، بل نحن اليوم نستطيع أن نجزم بلا تردد بأن العلوم الغربية قد ولدت في تلك البلاد المحفوظة، وكذلك لم يمض بعد وقت طويل على الزمن الذي كان الدارسون يرون فيه أن جذور المدنية الغربية كانت في اليونان، فيما يتعلق بالعلم وفي فلسطين بالدين ثم لم يكلف الدارسون أنفسهم إلى ما وراء ذلك، ولكننا نحن الآن نعلم أن اليونان واليهود أنفسهم مدينون بذلك للمصريين والبابليين.

(43) يقول أنتجهاوزن: «إنه كلما تحدثنا عن التراث الفريد الذي خلفته الحضارة الإسلامية للعالم في صورة فنونها المتنوعة، فإننا نسلم بأن هذا التراث من الناحية الجمالية يكون وحدة شاملة متصلة أجزاءؤها بعضها

ببعض، وربما كنا على علم بالاختلافات الشكلية التي وجدت في الأقاليم المتنوعة التي تضمها الساحة الشاسعة لعالم الإسلام، ولكننا نظل نؤيد أساسا الرأي القائل بأن هذه الوحدة تربط أجزاءها بعضها إلى بعض خصائص عامة ذات طابع غالب موحد.⁽¹⁾

(44) يقول المستشرق الإنجليزي جب هاملتون: «كانوا حتى ذلك التاريخ يعترفون ويسلمون حانقين ساخطين بتفوق الإسلام العسكري، أما الآن فصاروا يدركون خجلين وجوب التسليم للإسلام بالتفوق الفكري. ويتدفق فيض العالم العربي الذي أعقب هذا التسليم والإيمان، ولدت مجموعة من النثر الأدبي الذي تسلل إلى جميع الآداب الأوروبية الأخرى المتحاملة على نفسها المتنامية، قليلا كان نموها أم كثيراً، وكان هذا مما مهد الطريق للانفجار الفكري المعروف «بالريتانس»... والحق يُقال، أن ثم حقائق دامغة لا يماري فيها أحد: فالأمثال الشرقية، والحكايات الشرقية، وما لف لفها من المصنفات، تمتعت بشهرة واسعة في القرون الوسيطة: وأول كتاب طبع في إنجلترا

1. أنتجهاوزن: «الفنون الزخرفية والتصوير، شخصيتها ومجالها» - دراسة منشورة بكتاب تراث الإسلام - بإشراف «شاخت» و«بوزورث»، القسم الثاني. ص 63، 60 & أنظر: د. عمارة: الإسلام في عيون غربية ص 278.

«حِكم الفلاسفة وأقوالهم» كان مترجماً عن نسخة فرنسية مأخوذة من ترجمة لاتينية مترجمة من أصل عربي، وللمرة الثانية نجد في القرن الثامن عشر ما لا يقل عن ثلاثين طبعة من قصص ألف ليلة وليلة باللغتين الإنكليزية والفرنسية، ومنذ ذلك الحين نشر أكثر من ثلاثمائة طبعة لهذه القصص في جميع لغات أوروبا الغربية، وطار صيت عمر الخيام في انجلترا وأمريكا أكثر مما اشتهر اسمه في فارس.... ولولا «ألف ليلة» ما كان «روبنسن كروزو» ولا كانت - ربما - «رحلات جوليفر»... لقد صارت «ألف ليلة» مصدراً تستمد منه عناصر البناء لهيكل الرواية..».

45) ويقول أيضاً: «... وثمت ما يبرر الادعاء القائل أن الشعر العربي له الفضل إلى حد ما في قيام الشعر الجديد بأوروبا، وإن كنا لا نستطيع السير طول الطريق مع البرفر ماكيال، الذي يقول مؤكداً: «كانت أوروبا مدينة بدينها إلى اليهودية، وكذلك هي مدينة بأديها الروائي إلى بلاد العرب.. فألى الشعوب العربية الساكنة في النجد العربي السوري، الذي تدخل فيه (المنطقة الفلسطينية والشعب الفلسطيني القح) ندين بأكبر قسم، أو بالدرجة الرئيسية من القوى الناشطة التي جعلت

القرون الوسطى الأوروبية مختلفة روحاً وخيلاً عن العالم الذي كان يخضع لرومة..... ثم ينهي كلامه بقول: وقليلون هم الذين ينكرون أن الحياة والنشاط وسعة الخيال التي تطبع الآداب الجنوبية، يعود إلى الوسط الثقافي العربي في الأندلس خلال العصور المتقدمة وإلى الانطباع الذي خلفته تلك الحضارة في الشخص الأندلسي».

(46) يقول كارادي فو في بحثه «الفلك والرياضيات»: «والسبب في اهتمامنا بعلم العرب هو تأثيره العظيم في الغرب، ولأن العرب ارتفعوا بالحياة العقلية والدراسة العلمية إلى المقام الأسمى في الوقت الذي كان العالم المسيحي يناضل نضال المستميت للإنعتاق من أحابيل البربرية وأغلاها.... ووصلوا إلى قمة نشاطهم (الذي استمر حتى القرن الخامس عشر) في القرنين التاسع والعاشر.... ومنذ القرن الثاني عشر فصاعداً كانت مراكز والشرق الأوسط محط أنظار كل غربي يميل إلى العلم ويتذوقه، وفي هذه الفترة شرع أبناء أوروبا يترجمون آثار العرب، كما كان العرب قد ترجموا آثار الإغريق..».

ويقول أيضاً: «إن العرب ليسوا كالإغريق يتقربون من أحد هواة الفن والأدب أو نصير من نصرائها ميله إلى الثقافية للثقافة نفسها، لكنهم كانوا

يبدلون علومهم لجميع التلاميذ الأذكياء بكل سخاء.. فهم يمتازون بالتفكير الواقعي، لذلك كان لعلومهم هدف مادي، فالحساب كان يخدم التجارة ويعاون في تقسيم الموارث، أما الفلك فهو مطلب المسافرين وقاطعي الصحاري والمهالك، أو يستخدم لأغراض الدين لمعرفة أوقات الصلاة وقبلة مكة، وللدقيقة الأولى لطلوع قمر رمضان..»⁽¹⁾.

47) تقول زيجريد هونكة في كتابها «شمس العرب تشرق على الغرب»: «إنَّ ما حققه العرب لم تستطع أن تحقِّقه شعوب كثيرة أخرى، كانت تمتلك من مقومات الحضارة ما قد كان يؤهلها لهذا، بينظرة وريثة الحضارتين الشرقية والإغريقية بقيت على جهالتها، مع أنها بلغتها اليونانية كانت أقرب للناس إلى الحضارة الإغريقية، والسوريون هم تلامذة الإغريق كان لهم من الحضارة قبل الإسلام حظاً وفيراً، ولقد نقلوا عن طريق الترجمة كثيراً من أعمال الإغريق إلى لغتهم ولكنهم أيضاً كبيزنطة فشلوا في أن يجعلوا مما اقتبسوه من الإغريق بذرة الحضارة تدهر كما فعل العرب فيها بعد، ولم تكن فارس التي اكتسبت من

1- كارادى طو: الفلك والرياضيات - بحث منشور بكتاب تراث الإسلام، بإشراف «آرنولد»، مصدر سابق، ص 564, 566, 567 & نقلاً عن د. محمد عمارة: الإسلام في عيون غريبة ص 249.

حضارات الصين والهند والإغريق بأسعد حظاً من بيزنطة أو سوريا، وبرغم تحسن الحالة الاقتصادية في تلك البلاد ورعاية الدولة للعلوم والعلماء فإنه لم يسمح لحضارة تلك البلاد أن تصبح حضارة مبتكرة مؤثرة إلا في جو عقلي آخر وفي ثنايا حضارة ثانية أنجح هي الحضارة العربية».

(48) يقول جورج سارتون في كتابه «مقدمة في تاريخ العلم»: «إن الجانب الأكبر من مهام الفكر الإنساني اضطلع به المسلمون؛ فالفارابي أعظم الفلاسفة، والمسعودي أعظم الجغرافيين، والطبري أعظم المؤرخين».

(49) يقول المستشرق الألماني آدم ميتز في كتابه «الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري» متحدثاً عن العلم في الحضارة الإسلامية قائلاً: «لا يعرف التاريخ أمة اهتمت باقتناء الكتب والإعتزاز بها كما فعل المسلمون في عصور نهضتهم وازدهارهم، فقد كان في كل بيت مكتبة».

(50) يقول أناتول فرانس في كتابه «الحياة الجميلة»: «أسوأ يوم في التاريخ هو يوم معركة (بواتيه) عندما تراجع العلم والفن والحضارة العربية أمام بربرية الفرنجة، ألا ليت شارل مارتل قطعت يده ولم ينتصر على القائد الإسلامي عبد الرحمن الغافقي».

ويقول أيضا: «حين نتذكر كم كان العرب بدائيين في جاهليتهم يصبح مدى التقدم الثقافي الذي أحرزوه خلال مئتي سنة، وعمق ذلك التقدم، أمراً يدعو إلى الدهول حقاً، ذلك بأن علينا أن نتذكر أيضاً أن النصرانية احتاجت إلى نحو من ألف وخمسمئة سنة لكي تنشأ ما يمكن أن يدعى حضارة مسيحية، وفي الإسلام لم يُؤلَّ كل من العلم والدين ظهره للآخر، بل كان الدين باعثاً على العلم، وإن الحضارة الغربية مدينة للحضارة الإسلامية بشيء كثير إلى درجة نعجز معها عن فهم الأولى إذا لم تتم معرفة الثانية»⁽¹⁾

51) يقول رينان: «ما يدرينا أن يعود العقل الإسلامي الولود إلى إبداع المدنية من جديد؟ إن فترات الازدهار والانحدار مرت على جميع الأمم بما فيها أوروبا المتعجرفة»⁽²⁾.

52) يقول دُولنبر في كتابه «تاريخ الفلك»: «لقد منَحَ العرب على التجربة مؤلفاتهم دقة وإبداعاً، ولم يبتعد العرب عن الإبداع إلا في الفلسفة التي كان يتعذر قيامها على التجربة... ويستطرد قائلاً: ومن مباحثنا في أعمال العرب العلمية أنهم أنجزوا في ثلاثة قرون أو أربعة

1- روم لاندو: الإسلام والعرب، ص246.

2- أنور الجندي: مقدمات العلوم والمناهج، (8/ 173).

قرون من الاكتشافات ما يزيد على ما حققه الأغرقة في زمن أطول من ذلك كثيرًا، وكان تراث اليونان قد انتقل إلى البيزنطيين الذين عادوا لا يستفيدون منه زمنا طويلا، ولما آل إلى العرب حوّلوه إلى غير ما كان عليه، فتلقاه ورثتهم (يقصد الأوروبيين حديثاً) وحوّلوه مخلوقاً آخر».

53) عنونت المستشرقة الألمانية زيجميد هونكة في كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب» للفصل الأول من الباب الخامس باسم «المعجزة التي حققها العرب» وقالت فيه: «لقد نشر ابن النديم، تاجر الكتب في بغداد بالأمس القريب، فهرسا للعلوم في عشرة مجلدات، يضم اسماء جميع الكتب التي صدرت باللغة العربية في الفلسفة والفلك والرياضيات والطبيعات والكيمياء والطب حتى ذلك الحين».

وفي الأندلس تجذب قرطبة طلاب العلم من كل أنحاء الشرق بل والغرب أيضا. تجذبهم بمدارسها العُليا ومكتباتها العظيمة التي جمع لها الخليفة الأموي الحكم بن عبد الرحمان، وهو من أشهر علماء عصره، نصف مليون من الكتب القيمة، جمعها له عشرات من رجاله، وعلّق الخليفة بنفسه على هوامش عدد كبير منها قبل وفاته، قبل نهاية القرن العاشر بأربعة وعشرين عاما. وفي القاهرة رتّب مئات العمال والفنيين في مكتبي الخليفة مليونين

ومئتين من المجلدات، وهو يعادل عشرين ضعفاً ما حوته مكتبة
الأسكندرية الوحيدة في عصرها.

وإنه لمن المعلوم تماماً أنه ليس ثمة أحد في رومة له من المعرفة ما يؤهل لأن
يعمل بواباً لتلك المكتبة؛ إن فاقد الشيء لا يعطيه، هذا ما قاله جربرت فون
أوريك Aurillac Von Gerbert، الذي ارتقى كرسي البابوية في رومة
عام 999 ميلادية باسم البابا سلفستروس الثاني.

وفي هذا العام نفسه نشر أبو القاسم الزهراوي مبادئ الجراحة التي ظلت
شائعة لقرون عدة، وشرح البيروني للفكر العالمي دوران الأرض حول
الشمس، واكتشف الحسن بن الهيثم قوانين الرؤية وأجرى التجارب بالمرايا
والعدسات المستديرة والأسطوانية المخروطية.

وبينما كان العالم العربي يسرع في هذا العام نحو قمة عصره الذهبي وقف
الغرب مذهولاً، وقد تولاه الفزع، يترقب نهاية العالم عما قريب. ويعظ
القيصر الشاب أوتو الثالث Otto، وهو ابن عشرين ربيعاً، الناس فيقول:
والآن سيأتي المسيح ويحضر الناس ليقتنص من هذا العالم....

وبينما أوتو الثالث يتشدد بهذه الكلمات الجوفاء كان ابن سينا، وهو حينذاك أيضاً فتى في العشرين من عمره، قد بدأ يملأ الدنيا بأنباء انتصاراته العلمية الباهرة.

إن هذه القفزة السريعة المدهشة في سلم الحضارة التي قفزها أبناء الصحراء والتي بدأت من اللا شيء هي ظاهرة جديدة بالاعتبار في تاريخ الفكر الإنساني. وإن انتصاراتهم العلمية المتلاحقة التي جعلت منهم سادة للشعوب المتحضرة في هذا العصر لفريدة في نوعها لدرجة تجعلها أعظم من أن تقارن بغيرها، وتدعونا هنا أن نقف هنيهة متأملين. كيف حدث هذا؟ وكيف أمكن لشعب لم يمثل من قبل دوراً حضارياً أو سياسياً يُذكر أن يقف مع الإغريق في فترة وجيزة على قدم المساواة؟

إن ما حققه العرب لم تستطع أن تحققه شعوب كثيرة أخرى كانت تمتلك من مقومات الحضارة ما قد كان يؤهلها لهذا».

علم الرياضيات

(54) يقول الدكتور فلورين كاجوري في كتابه «تاريخ الرياضيات»: «إن

العقل ليندهش عندما يرى صنَّع العرب في الجبر، وهم أول من أطلق

لفظة (جبر) على العلم المعروف بهذا الاسم اليوم وعنهم أخذ الغرب

هذه اللفظة، وهم كذلك أول من أَلّف فيه بصورة علمية منظمة، فكان كتاب الخوارزمي «الجبر والمقابلة» منهلاً استقى منه علماء الغرب والشرق على السواء واعتمدوا عليه في بحوثهم، وأخذوا عنه كثيراً من النظريات، لذا يحق القول بأن الخوارزمي هو واضع علم الجبر على أسسه الصحيحة»⁽¹⁾.

55) يقول و. و. روس في كتابه «مختصر في تاريخ الرياضيات»: «إن ثابت ابن قرة قد حل معادلات من الدرجة الثالثة بطرق هندسية مشابهة للطرق التي استخدمها علماء أوروبا في القرن السادس عشر للميلاد، فيكون بذلك قد سبق ديكارت وبيكر وغيرهما في هذا البحث، وحل علماء المسلمين في الرياضيات أوضاع معادلات الدرجة الرابعة واكتشفوا النظرية القائلة بأن مجموع مكعبين لا يكون مكعباً، وهذا أساس نظرية فرما»⁽²⁾.

56) يقول جورج سارتون في كتابه «الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط»: «حاول بعض المؤرخين التقليل من أهمية المآثر العظيمة

1- علي عبد الله الدفاع: روائع الحضارة العربية الإسلامية في العلوم ص 64.

2- علي عبد الله الدفاع، لمحات من تاريخ الحضارة الإسلامية والعربية ص 134.

للحضارة العربية بإنكار ما فيها من أصالة والادعاء بأن العرب مقلدون ليس إلا. وإن حكما كهذا خطأ في جملته، إذ يمكن القول إلى حد ما أنه ليس أعمق أصالة من الأصالة التي تملك الرواد العرب في التعطش الحقيقي إلى المعرفة، وقد تمكن المسلمون من تطوير معارف كثيرة خاصة في حقل الرياضيات وغيرها، وكانت لهم فتوحات علمية رفعت العلوم إلى مستوى يعلو بكثير عن المستوى الذي رفعها إليه الإغريق وكان هذا على وجه الخصوص في علمي الجبر وحساب المثلثات اللذين كانا من ابتكارهم»⁽¹⁾.

57) يقول رام لاندو في كتابه «الاسلام والعرب»: «وفي إمكاننا أن نوجز إسهام العرب في الرياضيات بما يلي: نقل علم الحساب الإغريقي وتبسيطه وجعله أداة للاستعمال اليومي، عن طريق اصطناع الأرقام العربية والنظام العشري، واختراع الجبر، في مفهومه المعروف في العصور الحديثة، ووضع أسس حساب المثلثات وبخاصة الكروية منها. ففي القرنين التاسع والعاشر الميلاديين اكتسبت الرياضيات

3- المصدر السابق ص42.

شكلها العام، وأبعدت عن الحقائق المشوشة التي ليس بينها رابطة؛ فاكتمت شكلا ومادة في آن واحد»⁽¹⁾.

58 يقول العالم الأوروبي «كارل بوير» في كتابه «تاريخ الرياضيات»: «لو لم يكتشف المسلمون العرب الأعداد العربية، لكان من الممكن أن تكون الرياضيات الآن في مهدها الأول، وبالتالي فقد استطاع الإنسان بفضلها أن يخترع وأن يعرف الطبيعة بأسرها».

59 يقول جورج سارتون في كتابه «المدخل إلى تاريخ العلوم»: «إنه حري بنا أن نطلق على القرن (9م = 3هـ) عصر الخوارزمي، كما يجب بعد مراعاة كل الاعتبارات أن نعد الخوارزمي واحداً من أعظم علماء الرياضيات على الإطلاق».

60 يقول ديفيد سميث ولويس كارينسكي في مؤلفهما الرائع «الأعداد الهندية والعربية»: «إن العالم يُدين للخوارزمي بالفضل؛ بما نعرفه الآن من علمي الجبر والحساب، ويكفي الخوارزمي مكانة في ضمير أمته نجاحه بعد بحث مضمن في حل معضلة حساب تقسيم التركة بين الأبناء وفق الشرع الإسلامي الحنيف (علم الفرائض)، حيث كان من

1- المصدر السابق ص59.

المستحيل أن تفي الرياضيات العاجزة التي عرفها المسلمون عن اليونان والرومان في إيجاد حل شاف لهذه العلة، خصوصاً إذا عرفنا مدى صعوبة إجراء عملية الضرب والقسمة عند استخدام هذه الأعداد الجامدة عدا جهلها وافتقارها للصفر والكسور العشرية التي اخترعها علماء العرب المسلمون من أمثال الخوارزمي والكاشي، والتي مهدت للثورة الصناعية والتكنولوجيا الحديثة، فكان فضل الله على الخوارزمي عظيماً؛ إذ هداه إلى ابتكار علم الجبر بوضعه كتاب (الجبر والمقابلة)، هذه الإضافة العلمية المعجزة التي أدخلت اسم الخوارزمي في سجل رموز الخالدين الذين أسدوا للبشرية أجل الأعمال الخالدة، هذا العلم الذي ما زال وسيبقى يعرف في لغات الدنيا جميعها باسمه العربي الجبر Algebra، وقد ترجم هذا الكتاب الكنز إلى اللاتينية المستشرق الإنجليزي «روبرت أوف شستر» سنة (1143م = 538هـ) ومنه استلهم علماء أوروبا في العصور الوسطى مبادئ وأسس هذا العلم، وفي العصر الحديث أعاد المستشرق الألماني «فريدريش أو فريدرك روزن» نشر هذا الكتاب في لندن سنة (1831م = 1247هـ) لتتوالى طبعاته غير مرة، ولتوفر لعلماء أوروبا والعالم على مر العصور مورداً عذباً فراتاً ينهلون منه دارسين وباحثين، ويطلبون منه المزيد....».

61) يقول ول ديورانت في كتابه «قصة الحضارة»: «إن العالم المسلم ثابت بن قرة هو العالم الذي أفاد علماء الغرب فيما بعد في تطبيقاتهم وأبحاثهم الرياضية في القرن السادس عشر، والتي كانت أساساً لظهور الحضارة الغربية المعاصرة».

62) يقول لوسيان سيديو في كتابه «تاريخ العرب العام»: «والعرب حين زاولوا علم الهيئة عنوا عناية خاصة بالعلوم الرياضية كلها، فكان لهم فيها القدر المعلن، وكانوا أساتذة لنا في هذا المضمار بالحقيقة»⁽¹⁾.

63) يقول جوان فرينيه: «وإذا نحن تحرينا الدقة نجد أن أصول التطور العلمي للرياضيات عند المسلمين تبدأ مع القرآن الكريم؛ وذلك فيها ورد في القرآن من الأحكام المعقدة في تقسيم الميراث، ويعد الخوارزمي أول رياضي مسلم، ونحن مدينون له بمحاولة وضع تنظيم منهجي باللغة العربية لكل المعارف العلمية والتقويم، كما ندين له باللفظ الإسباني (غوارزمي)، الذي يعني الترقيم (أي الأعداد ومنازلها والصفرة)، وكان الجبر هو الميدان الثاني الذي عمل فيه الخوارزمي، وهو

1- نقلا عن مصطفى السباعي: من روائع حضارتنا ص 84

فرع من الرياضيات لم يكن حتى ذلك الوقت موضوعاً لأية دراسة منهجية جادة».

ويقول جوان فيرنيه أيضاً: «ويبرز في حقل الهندسة من العلماء العرب الإخوة الثلاثة أبناء موسى بن شاكراً، الذين عاشوا في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، وكان مصنفهم الرئيسي المعروف باسم كتاب «معرفة مساحة الأشكال» أحد الجسور التي انتقل بها التأثير اليوناني إلى بغداد، حيث بدئ في إدخال إضافات جديدة وأصلية عليه، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية بعد ذلك بقرون على يد «جيرار الكريموني» بعنوان «أقوال موسى بن شاكراً»، وعن طريق كتاب بن شاكراً استطاع علماء الغرب، من أمثال فيبوناشر في أواخر القرن 12 وأوائل القرن 13، وجور دانوس نيموراريوس في القرن العشرين، وروجر بيكون في القرن الثالث عشر الميلادي، وتوماس براد واردينفي القرن الرابع عشر الميلادي، أن يعرفوا الأفكار الأولى الخاصة بالرياضيات العالمية...»⁽¹⁾.

64) يقول درابر: «ومن عادة العرب أن يراقبوا ويمتحنوا، وقد حسبوا الهندسة والعلوم الرياضية وسائط للقياس، ومما تجدر ملاحظته

1. جوان فيرنيه: الرياضيات والفلك والبصريات. بحث منشور بكتاب التراث الإسلام، بإشراف شناخت وبوزورت، مصدر سابق، القسم الثالث، ص 168، 178.

أنهم لم يستندوا فيها كتبوه في الميكانيكيات والسائلات والبصريات إلى مجرد النظر، بل اعتمدوا على المراقبة والامتحان، با كان لديهم من الآلات؛ وذلك ما هياً لهم سبيل ابتداع الكيمياء، وقادهم لاختراع أدوات التصفية والتبخير، ورفع الأثقال... ففتح لهم بذلك باب تحسين عظيم في قضايا الهندسة وحساب المثلثات» [محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية 1 / 227، 228].

65) يقول المستشرق الأمريكي «كاربنسكي» بالمحاضرة التي ألقاها في نادي العلم بالجامعة الأمريكية بالقاهرة في نوفمبر 1933م: «ويرجع الأساس في تقدم الرياضيات وإيجاد التكامل والتفاضل إلى المبادئ والأعمال الرياضية التي وضعها علماء اليونان، وإلى الطرق المبتكرة التي وضعها علماء الهند، وقد أخذ العرب هذه المبادئ وتلك الأعمال والفرق ودرسوها وأصلحوا بعضها، ثم زادوا عليها زيادات هامة تدل على نضج أفكارهم و خصب فريحتهم. وبعد ذلك أصبح التراث العربي حافراً لعلماء إيطاليا وإسبانيا ثم لبقية بلدان أوروبا، إلى دراسة الرياضيات والاهتمام بها. وأخيراً أتى «فيتا» ووضع مبدأ استعمال الرموز في الجبر وقد وجد فيه «ديكارت» [1596 - 1650م] ما ساعده على

التقدم ببحوثه في الهندسة في خطوات واسعة فاصلة مهدت السبيل للعلوم الرياضية وارتقاها ارتقاء نشأ عنه علم الطبيعة الحديث وقامت عليه مدنيتنا الحالية...»⁽¹⁾.

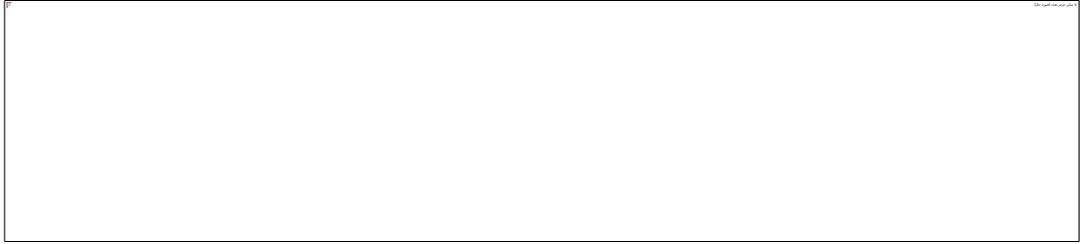
66 يقول كارادي فو في بحثه «الفلك والرياضيات»⁽²⁾: «إن العرب كانوا مهندسين قبل كل شيء..... وفي القرن الثامن عشر، اعترف العالم الجبري «ليونارد فيبوناچي البيزي» بأنه مدين للعرب بالكثير. رحل هذا الباحث إلى مصر وسوريا واليونان وصفلية، وتعلم هناك القواعد العربية فوجدها أدق وأسمى من قواعد فيثاغورس».

ويقول أيضا: «إن العرب هم الذين علمونا استعمال «الصفرة»، ولو أنهم لم يكونوا مبتكريه وهكذا ابتدعوا حساب الحياة اليومية، وجعلوا (الجبر) علماً متقناً، وتقدموا به ووضعوا أسس علم الهندسة التحليلية، وهم بلا منازع موجودو علم المثلثات المستوية والكروية اللذين لم يكن للإغريق فضل في وجودهما إذا ما توخينا الحقيقة والإنصاف، كما أنهم عملوا في الفلك أرساداً

1. كارينسكي: «مقدمة كتاب تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك» لقدرى حافظ طوفان، ص 15، طبعة القاهرة، جامعة الدول العربية، دار القلم سنة 1963م & أنظر: د. محمد عمارة: الإسلام في عيون غربية ص 266.

2. كارادى طو: الفلك والرياضيات - بحث منشور بكتاب تراث الإسلام، بإشراف «آرنولد»، مصدر سابق، ص 250، 251.

عديدة قيمة، وحفظوا لنا بترجماتهم عدداً كبيراً من كتب الإغريق وأبحاثهم التي ضاعت أصولها. إننا لنجد (الصفير) معروفا عند العرب قبل أن يعرفه الغرب بمائتين وخمسين سنة على الأقل .. ولم يدخل الصفير أوروبا إلا في القرن الثاني عشر، حين بدأ الحسايون النصارى يكتبون رسائل في علم العدد والأرقام من غير حقول ويكملونها بالصفير».



ويواصل حديثه فيقول: «والخدمات التي أسداها أبو الوفاء البوزجاني في القرن العاشر الميلادي في علم المثلثات لا يمكن أن يجادل فيها، فقد أصبح هذا العلم بفضلها أكثر بساطة ووضوحا متطلبا القانون التالي لإضافة الزوايا:

هذا القانون الذي اكتشف في ذلك الزمن، لم يعرف عند العالم اللاتيني، ويظهر أن صناعة «كوبرنيكوس» [1473 - 1532م] يجهله، لكن «رايتكوس» تلميذ «كوبرنيكوس» وناشر كتبه، عاد إلى استخراجها بمشقة

عظيمة في قانون أكثر التواء وتعقيدا من قانون «أبي الوفاء» .. ونجد أيضا عند «أبي الوفاء» القاطع، الذي يسميه «بقطر الظل» بينما يعزي اكتشافه إلى كوبرنيكوس.

ويستمر في الحديث: وإنَّ كتاب «عمر الخيام» [517 هـ / 1123م] في الجير يُعتبر من الدرجة الأولى، ويمثل تقدماً عظيماً جداً على ما نجده من هذا العلم عند الإغريق، لقد أحرز تفوقاً على «الخوارزمي» نفسه في درجات المعادلة بصفة خاصة، فقد خصص القسم الأكبر من كتابه لمعالجة المعادلات التكعيبية بينما لم يتصد الخوارزمي إلا للمعادلات التربيعية بصدد بحث المسائل في الحلول، وكل هذا يسجل تقدماً شاسعاً جداً على الإغريق. وعند الخيام تجد نوعاً من الهندسة التحليلية كان معروفاً قبل «ديكارت» [1596 - 1650م] .. لقد برهن الخيام على عبقرية حيال اليونان وكثير من تلامذتهم العرب الذين سبقوه، فهو يقول في مقدمة رسالته: «إنك لو اجد في هذه الدراسة فروضا تعتمد على نظريات ابتدائية معينة في غاية من الصعوبة والتعقيد، فشل في حلها أكثر من تصدى لها، كما لم يصل إلينا من أبحاث القدماء ما ينير لنا السبيل إلى معالجتها أبداً.....

إن هذه الطريقة لحل المعادلات من الدرجة الثالثة ترجع لتبدو بنصها الحر في تقريبا في كتاب «الجو مطرى» لديكارت. والفروض التي لم يستطع «أرخميدس» إثباتها في كتاب «الكريات والأسطوانات» أثار بحثا لدى ابن الهيثم وغيره..

ولقد قدم العرب في الحساب عدة مكتشفات فيما يتعلق بالمربعات السحرية، والأعداد المتحابة، كما أن اختراع البرهان بطريقة إسقاط التسع تعزي إليهم، وكذلك القاعدة المسماة «بقاعدة وضع الخط المزدوج» التي نجدها ثانية عند رياضيين القرنين السابع عشر والثامن عشر، وأعلن واحد منهم النظرية الشهيرة بنظرية (فرما) - ابير فرما [1601 - 1665 م]، وهي أن مجموع مكعبين لا يمكن أن يكون قدر مكعب عدد صحيح، لكنه لم يقدم لذلك برهانا تاما. أما محمد بن الحسن الكرخي فيقدم لنا طريقة هندسية لجمع المتسلسلة التكعيبية الآتية:



ثم يأتي بعده «محمد غياث الدين الكاشاني»، في القرن الخامس عشر الميلادي، ذاك الطبيب والفلكي الذي استخدمه «ألغ بك» من سمرقند فيقدم لنا طريقة لجمع المتسلسلة العددية المرفوعة إلى القوة الرابعة، وهي

الطريقة التي لا يمكن أن يتوصل إليها بقليل من النبوغ... أما «البطروجي» أحد تلامذة «ابن طفيل» فله آراء مبتكرة في حركة الكواكب السيارة.

والقسط الأكبر من شهرة «البتاني»، القرن العاشر الميلادي، يعود بدون شك إلى اكتشافه، أو على الأقل نشره وتبسيطه أوائل علم النسب المثلثية كما نستعملها اليوم. لقد استعمل «بطليموس» الأوتار في عملياته التي كان قد عرف منها قانونا واحداً

رئيسياً مضطرباً أخرج، فاعتاض «البتاني» بالجيب عن الوتر، واستعمل «الظل» و«ظل التمام»، وكان يدرك علاقته أو ثلاثاً رئيسية من علاقات النسب المثلثية.. وهذا ما يجعلنا متقدمين بمسافة شاسعة عن المرحلة التي وصل إليها الإغريق ويفتح لنا في الواقع أبواب العلم الرياضي الحديث على مصاريعها...».

علم الفيزياء (البصريّات)

(67) يقول الإيطالي جيرونيمو كاردانو eronimoG Cardano في القرن السادس عشر يقول: «إن الكندي يُعد واحداً من اثني عشر عقلاً عملاقاً في التاريخ؛ لأنه بحث في كيفية سير أشعة الضوء على خط مستقيم، وتحدث عن الإبصار بمرآة ومن دون مرآة، وعن أثر المسافة والزاوية في الإبصار وفي الخداع البصري».

(68) جاء في مقالة العالم الدانماركي سيباستيان فوجل Vogl Sebastian من القرن العشرين: «إن روجر بيكون لا يعتبر الكندي واحداً من سادة الرسم المنظوري perspective فحسب، بل هو

وأمثاله في المنظور الخاص به، يرجعون إلى الكندي ويأخذون من علمه في البصریات».

69) يقول جورج سارتون في كتابه «مقدمة لتاريخ العلوم»: «كان ابن الهيثم أعظم فيزيائي مسلم وأعظم دارس لعلم البصریات في زمنه، وسواء كان الفيزيائيون يعملون في إنجلترا أو بعيداً في بلاد فارس، فإنهم جميعاً قد شربوا من نبعه، ولقد أحدث ابن الهيثم تأثيراً عظيماً في الفكر الأوروبي من بيكون إلى كيلر».

70) تقول زيجريد هونكه في شمس العرب تسطع على الغرب: «كان الحسن بن الهيثم أحد أكثر معلمي العرب في بلاد الغرب أثراً وتأثيراً... لقد كان تأثير هذا العربي النابغة على بلاد الغرب عظيم الشأن؛ فسيطرت نظرياته في علمي الفيزياء والبصریات على العلوم الأوربية حتى أيامنا هذه، فعلى أساس كتاب (المنظر) لابن الهيثم نشأ كل ما يتعلق بالبصریات ابتداءً من الإنكليزي (روجر بيكون) حتى الألماني (فيتلوا)، وأما ليوناردو دافنشي الإيطالي مخترع آلة (التصوير وأول طائرة - ادعاء - فقد كان متأثراً تأثيراً مباشراً بالعرب، وأوحت إليه آثار ابن الهيثم أفكاراً كثيرة، وعندما قام (كيلر) في ألمانيا خلال القرن

السادس عشر ببحث القوانين التي تمكن (جاليليو) بالاستناد إليها من رؤية نجوم مجهولة من خلال منظار كبير؛ كان ظل ابن الهيثم الكبير يجثم خلفه، وما تزال حتى أيامنا هذه المسألة الفيزيائية الرياضية الصعبة التي حلها ابن الهيثم بواسطة معادلة من الدرجة الرابعة، مُبرهنًا بهذا على تضلعه البالغ في علم الجبر، نقول: لا تزال المسألة القائمة على حسب موقع نقطة التقاء الصورة التي تعكسها المرآة المحرقة بالدوائر على مسافة منها ما تزال تسمى بـ (المسألة الهيثمية)؛ نسبة إلى ابن الهيثم نفسه».

71) يقول كارداي فو: «إن التراث العربي يحوي عددًا من الرسائل في الأوزان، منها رسالة الخازني، ذات القيمة الجلييلة الخاصة، ونظرية التوازن والثقل في هذه الرسالة قد قطعت شوطًا بعيدًا في مضمار التقدم، كذلك ورد فيها بحث عن الأوزان النوعية»⁽¹⁾.

1- كارداي فو: الفلك والرياضيات، بحث منشور بكتاب تراث الإسلام بإشراف (أرنولد) ص 578 & أنظر: د. عمارة: الإسلام في عيون غربية ص 252.

علم الطب

(72) تقول زيغريد هونكة في كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب»: «قبل 600 عام كان لكلية الطب الباريسية أصغر مكتبة في العالم، فلا تحتوي إلا على مؤلف واحد، وهذا المؤلف كان للعربي الكبير أبي بكر الرازي، وكان هذا الأثر العظيم ذا قيمة كبيرة، بدليل أن ملك المسيحية الشهير لويس الحادي عشر، اضطر إلى دفع اثني عشر ماركاً من الفضة ومائة تالر (الدولار اليوم) من الذهب الخالص لاستعارة هذا الكنز الغالي رغبة منه في أن ينسخ له أطباؤه نسخة منه، يرجعون إليها إذا ما هدد مرض أو داء صحته أو صحة عائلته».

(73) يقول الباحث الألماني الدكتور بير بورمان: «إن إنجازات المسلمين في العالم واضحة جلية في كل شؤون العلوم والثقافة، بل إن إنجازاتهم في

مجال الطب لا يستطيع أحد إنكارها، وهذا هو ما دفعني إلى تأليف كتاب بعنوان: (الطب الإسلامي في القرون الوسطى)». وقال أيضا: «دفعني لتأليف هذا الكتاب أنني كمسيحي ألماني أدين بالفضل في جزء من ثقافتي للثقافة الإسلامية، وهذا ما أحاول توضيحه وتأكيد، رغم محاولات البعض طمس الدور المهم الذي لعبه المسلمون في أوروبا والعالم، ولقد عكفت أنا وزميلتي الباحثة (إيميلي سافاج سميث) على رصد إنجازات المسلمين في مجال الطب في القرون الوسطى».

وأضاف قائلاً: «إن المستشفيات الإسلامية كانت عبارة عن أوقاف إسلامية، وكانت تقدم الخدمة الطبية لكل الناس بصرف النظر عن ديانتهم؛ فهناك اليهود، والمسيحيون، والصابئة، والزرادشتيون، وغيرهم، فكان المستشفى الإسلامي يعالج الجميع؛ وهذا يعني تسامحا إسلاميا كبيرا مع غير المسلمين». وعن أهم الأمراض التي أسهم فيها المسلمون بعلم جديد، قال: «الكثير من الأمراض، إلا أن أخطرها هو مرض المالنخوليا»⁽¹⁾.

1. حوار له بجريدة الأخبار المصرية بتاريخ 2007/4/13، نقلا عن د. راغب السرجاني: قصة العلوم الطبية ص 102.

(74) يقول مونتجمري وات في كتابه «فضل الإسلام على الحضارة الغربية ص53»: «لم يكن غريبا أن نجد رجالاً عظيمي الكفاءة في أكثر من ميدان واحد، فابن سينا الذي ربما كان أعظم فلاسفة المسلمين، كان أيضا طبيبا عظيما، وأن ابن رشد، وهو في مصاف ابن سينا في الفلسفة، كان يعمل في نفس الوقت قاضيا ويكتب عددا من الكتب في الطب».

(75) يقول سديو Sudaio في كتابه «تاريخ العرب العام»: «كان أطباء العرب من الرجال الممتازين على الدوام.... وذاع صيت عدد من الأطباء ومن هؤلاء نذكر بختيشوع بن جبرائيل الذي اشتهر بمداواته العجيبة، غير أنه لا أحد يعدل الرازي وابن سينا اللذين سيطرا بكتبها على مدارسنا زمنا طويلاً»⁽⁴⁾.

(76) يقول مايرهوف: «راحت العلوم ولاسيما الطب، تنتقل بسرعة من أيدي النصارى والصابئة إلى أيدي المسلمين ومعظمهم من سكنة بلاد فارس. ففي الطب صرنا نجد عوضا عن المجموعات المأخوذة من

2. سيديو: تاريخ العرب العام ص384، نقلا عن د. راغب السرجاني: قصة العلوم الطبية ص 100.

المصادر العتيقة، موسوعات منتظمة صنفت فيها معارف الأجيال السابقة تصنيفاً دقيقاً ووضعت مقابل المعلومات الجديدة»⁽¹⁾.

(77) يقول دومينيك سوردييل: «وفي الطب اشتهر العلماء العرب

بمراقبتهم السريرية وبعلمهم المنهجي، مثل الرازي وهو من أكبر الأطباء المسلمين والمقيم في الري، ثم في بغداد، وهو أحد المتمرسين النابهين والدقيقي الملاحظة، وقد ترك الإسلام نوعين من الأعمال: أبحاثاً علمية أشهرها يدور حول الجدري، وموسوعة كبرى حول المعارف الطبية تتمثل في كتاب الحاوي، الذي حل محله القانون لابن سينا، وعرف العرب الجراح الشهير الزهراوي، وابن رشد وابن ميمون اليهودي، الذين أفادت المسيحية من مصنفاتهم وعلومهم»⁽²⁾.

(78) تتحدث المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه عن الرازي قائلة: «هذا

الطبيب العظيم بنظرته الفاحصة كان إنساناً كبير القلب وطيباً إنسانياً إلى أقصى الدرجات. وقد كان سباقاً في إنسانيته القصوى تلك، كما كان سباقاً في كثير من الاكتشافات العلمية، وتعدى الآفاق الخلقية التي وصل عليها الطب لدى الإغريق»⁽³⁾.

1- مايرهوف: العلوم والطب، دراسة منشورة بكتاب تراث الإسلام بإشراف أرنولد ص 462، نقلا عن محمد عمارة: الإسلام في عيون غريبة منصفة ص 234-235.

2- دومينيك سوردييل: الإسلام ص 157، نقلا عن د. راغب السرجاني: قصة العلوم الطبية ص 101.

3- سيجريد هونكه: شمس الله تسطع على الغرب ص 253

79) يقول المستشرق الفرنسي الكبير جوستاف لوبون: «يعد الطب أهم العلوم التي عَنِيَ بها العرب، وأتم العرب أعظم اكتشافاتهم في هذه العلوم، وترجمت مؤلفات العرب الطبية في جميع أوروبا، ولم يتلف قسم كبير منها كما أصاب كتبهم الأخرى»⁽¹⁾.

80) يقول المؤرخ البريطاني دونالد رهيل: «أصبحت الكتب العربية واسعة الانتشار في أوروبا في أواخر العصور الوسطى لدرجة أن العديد من الأسماء العربية اصطبغت باللاتينية، فأصبح ابن سينا (أفيسنا) Avicenna والبتاني (الباتينيس) albatenus وغيرهما كثير جدا»⁽²⁾.

81) يقول المستشرق الألماني بلنسر مارتن: «لقد اتضح من خلال الميادين العلمية التي بحثت حتى الآن الاتجاه العلمي للعلم الإسلامي، ويتجلى هذا الاتجاه أوضح ما يكون في المؤلفات التي وضعها العلماء المسلمون في النبات والحيوان والمعادن، ففي الحالات التي لم توضع فيها كتب

1. جوستاف لوبون: حضارة العرب ص488، نقلا عن د. راغب السرجاني: قصة العلوم الطبية ص102.

2. دونالد رهيل: العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، ترجمة أحمد فؤاد باشا، سلسلة عالم المعرفة، ص290.

النبات لأغراض لغوية فإن المؤلفات الإسلامية في هذا الميدان كانت ذات طبيعة زراعية أو صيدلانية...»⁽¹⁾.

82) يقول المستشرق الإنجليزي ألفريد جيوم: «كانت سالرنو بوصفها جامعة طبية، فيها نفوذ عظيم للطب العربي، إن لم يكن تأثيراً ابتداءً خلاقاً فهو على أقل تقدير تغذية وإدامة»⁽²⁾.

83) يقول أوسلر: «لقد عاش كتاب القانون في الطب لابن سينا مدة أطول من أي كتاب آخر كمرجع أوحد في الطب، ولقد وصلت عدد طبعاته إلى 15 طبعة في الثلاثين سنة الأخيرة من القرن الخامس عشر..... إن ابن سينا مكن علماء الغرب من الشروع بالثورة العلمية في مجال الطب، والتي بدأت فعلاً في القرن الثالث عشر، وبلغت مرحلتها الأساسية في القرن السابع عشر»⁽³⁾.

3. بلنسر: العلوم الطبيعية والطب - دراسة منشورة بكتاب (تراث الإسلام) إشراف (شاخت) ويوزورت - القسم الثالث ص 130.

1. جيوم: الفلسفة وعلم الكلام، دراسة منشورة في كتاب (تراث الإسلام) - تصنيف أرنولد ص 353، 354.

2. مجلة بريد اليونسكو، عدد تشرين الأول، عام 1980م، نقلاً عن د. راغب السرجاني: قصة العلوم الطبية ص 104

84) يقول بلسنر: «لا يكاد يوجد شيء من جهود المسلمين في ميدان العلوم لم يتأثر به الغرب بطريق أو بآخر..... وإن كتاب الطب لابن سينا أصبح وكأنه إنجيل الطب في العصور الوسطى»⁽¹⁾.

85) يقول العالم مونتجمري وات: «يبدو أن ممارسة الطب، في أوروبا قبل أن يتأثر أطباؤها بالطب العربي، كانت فجأة إلى حد بعيد»⁽²⁾.

86) يقول هواردر. تيرنر، الأستاذ بجامعة تكساس الأمريكية: «استخدم المسلمون عبقريتهم التنظيمية إلى جانب مهاراتهم الخاصة في مجال العلاج والجراحة بنجاح متميز في إنشاء مستشفيات عظمى في المدن الكبرى في العالم الإسلامي في العصور الوسطى. وقد تفوقت هذه المؤسسات الطبية سواء في حجمها أو في خبرتها المهنية على كل المؤسسات الطبية المعروفة في الأزمنة القديمة، وكذلك الموجودة خارج البلاد الإسلامية بشكل هائل»⁽³⁾.

3. بلسنر: «العلوم الطبيعية والطب، دراسة منشورة بكتاب (تراث الإسلام). إشراف شاخت وبوزورت - ترجمة جرجس فتح الله، طبعة بيروت 1972م، القسم الثالث، ص 79, 81. نقلاً عن د. محمد عمارة: الإسلام في عيون غربية ص 78.

4. الترجمة في ظل الحضارة الإسلامية وأثرها في الآداب والعلوم، إصدار مجلة الفيصل، ملحق مع العدد 239 صفحة 70

1. هواردر. تيرنر: العلوم عند المسلمين ص 167، نقلاً عن د. راغب السرجاني: قصة العلوم الطبية ص (103).

(87) وصف المؤرخ «دونالد كامبل» تأثير الزهراوي على أوروبا بقوله: «ألغت طرق الزهراوي طرق جالينوس، وحافظت على مركز متميز في أوروبا لخمسمائة عام، كما ساعد على رفع مكانة الجراحة في أوروبا المسيحية». وفي القرن الرابع عشر، استشهد الجراح الفرنسي «غي دي شولياك» بكتاب الزهراوي «التصريف لمن عجز عن التأليف» أكثر من 200 مرة، في حين وصف المترجم بيترو أرغالاتا الزهراوي بقوله: «بلا شك هو رئيس كل الجراحين»، وقد ظل تأثير الزهراوي حتى عصر النهضة، حيث استشهد الجراح الفرنسي «جاك ديلشامب» بكتابه التصريف. وفي هذا الزمان كرمته إسبانيا بإطلاق اسمه على الشارع الذي كان يوجد فيه بيته في قرطبة. ولكن الإسبان عندما اجتاحوا الأندلس حرقوا كثيرًا من كتب العلماء المسلمين، وارتكبوا الكثير من الجرائم في حق السكان المسلمين للأندلس، الأمر الذي دعا الدولة العثمانية إلى إرسال حملات إنقاذ إلى الأندلس لنجدة السكان الأبرياء⁽¹⁾.

1- د. جهاد الثرباني، مائة من عظماء أمة الإسلام، دار التقوى، ط72، عام 2017، ص378.

88) يقول البروفسير جاك ريسلر، الأستاذ بمعهد باريس للدراسات الإسلامية في كتابه «الحضارة العربية ص 195»: «لقد احتل العرب والمسلمون المكانة الأولى في الطب، وظلوا على رأس العلم الطبي في العالم على مدى أكثر من خمسمائة سنة»⁽¹⁾.

89) يقول بنجامين جوردان في مقال نُشر بمجلة مجمع الطب في ولاية Michigin بعنوان «الطب العربي»: «إنني لم أدهش أبداً بما قدمه علماء العرب في حقل المعرفة، وخاصة الطب، لأن القرآن يحتوي على الكثير من المعلومات الطبية، والإسلام يبحث على طلب العلم»⁽²⁾.

90) يقول رام لاندو في كتابه «الإسلام والعرب»: «ولم يُوسَّع المسلمون في دراستهم وبحوثهم الطبية آفاق الطب فحسب، بل وسَّعوا المفاهيم الإنسانية على وجه العموم. وإذا كان من واجبنا أن نعتبر اكتشاف الذرة وصنع القنبلة الذرية رمزاً لأروع المنجزات العلمية في منتصف القرن العشرين، فلن يبدو من مجرد المسافة أيضاً، أن تكون جهود المسلمين

2- نقلاً عن د. حسان شمسي باشا: هكذا كانوا يوم كُنَّا، ص 7.

3- المصدر السابق، ص 9.

الطبية المبكرة قد قادتهم إلى اكتشاف لا يقل عن هذا الكشف الذري ثورية، وأن يكون في أغلب الظن أكثر منه نفعاً⁽¹⁾.

91) يقول «ياقو خالدستون» في مقال له بعنوان «مكتشف الطب في بلاد العرب»، ونشرت في مجلة مجمع الطب بنيويورك: «ومما لا يقبل الجدل أن المعلومات التي وصلت إلينا من أطباء العرب هي في الحقيقة الحجر الأساسي للطب الحديث، ولولا هذه الإسهامات العظيمة لما وصل الطب الحديث إلى المستوى الذي وصل إليه»⁽²⁾.

92) نقل د. حسان شمسي باشا في كتابه «هكذا كانوا يوم كنا» عدة أقوال للمستشرقين في إنصاف الحضارة الإسلامية الطبية، مثل:

1- قول المستشرق الألماني ماكس مايرهوف في كتابه «تراث الإسلام»: «إن المستشفيات العربية ونظم الصحة في البلاد الإسلامية الغابرة لتلقي علينا الآن درساً قاسياً مُرّاً لا نقدره حق قدره، إلا بعد القيام بمقارنة بسيطة مع مستشفيات أوروبا في ذلك الزمن نفسه، فقد مرَّ أكثر من ثلاثة قرون على أوروبا، قبل أن تعرف للمستشفيات معنى، ولا نبالغ

1- المصدر السابق، ص 10.

2- د. علي عبد الله الدفاع: أعلام العرب والمسلمين في الطب، مؤسسة الرسالة، بيروت 1983م، ص 36

إذا قلنا بأنه حتى القرن الثامن عشر، وكثير من المرضى كانوا يعالجون في بيوتهم أو في دور خاصة. وكانت المستشفيات الأوروبية قبلها عبارة عن دور عطف وإحسان، ومأوى لمن لا مأوى لديه، مرضى كانوا أم عاجزين».

وقوله أيضاً: «ونستطيع القول بأن تأسيس المستشفيات في أوروبا خلال القرن الثالث عشر، التي لم تعد بعد تحت المراقبة الإكليروسية فقط، كان إلى حد ما ناتجاً عن أثر الحروب الصليبية، فقد كانت على ما يبدو تقليداً للمستشفيات الفخمة، كتلك التي أقامها الحاكم نور الدين في دمشق، أو تلك التي أقامها السلطان منصور قلاوون في القاهرة. ولقد أعجب الرحالة الأوروبيون كثيراً بالمؤسسة الأخيرة في القرون التالية، فأسس البابا أنوسنت الثالث، في روما في بداية القرن الثالث عشر مستشفى آسان سبيريتوا، وأسس لويس التاسع مستشفى وملجأً إلى كانزفان بباريس بعد عودته من حملته الصليبية المشؤومة».

2- قول الدكتورة زيغرد هونكه في كتابها «شمس العرب تشرق على الغرب ص 220»: «وما كانت المستشفيات المخصصة للمرضى دون غيرهم من الناس كاليتامى والعجزة والفقراء، لتقوم في أوروبا قط، إلا في نهاية

القرن الثاني عشر، بعد الحملات الصليبية التي عرّفت الفرسان الأوربيين على المستشفيات العربية، فأنشأوا بعد عودتهم إلى بلادهم مستشفيات مثلها خصّصت للمرضى، وإن كان قد مرّ زمن طويل على هؤلاء بعدها، حتى استطاعوا أن يقوموا بالمعالجة الطبية على أكمل وجه».

3- قول البروفسور مونتجومري وات: «إنه من المرجح أن تكون خبرات الصليبيين قد أدت في حوالي عام 1200م إلى تأسيس أولى المستشفيات التي لا تأوي غير المرضى. غير أن هذه المستشفيات كانت أدنى مستوى من المستشفيات العربية في أمور، مثل تخصيص أجنحة مستقلة للأمراض المعدية. وقد كان الأطباء يزورون المرضى في المستشفيات، غير أن أول حالة معروفة لمستشفى بها طبيب مقيم هي مستشفى ستراسبورغ، وذلك في عام 1500م. أما تلقين العلم وتدريب الطلبة في المستشفيات - وهو ما جرت عليه عادة العرب - فلم تنقلها أوروبا عنهم حتى حوالي عام 1550م».

طب العيون

93) يقول جاك ريسلر في كتابه «حضارة العرب ص 200»: «إن طب العيون ابتكار إسلامي، وقد ظلت شهرة أطباء العيون العرب، وسُمعة علمهم المَعَمَّق على صعيد التقنيات الإجرائية، بلا نظير لآماد طويلة، ولم يتم تخطي ذخيرة الكحالين لعليّ بن عيسى إلا في القرن التاسع عشر»⁽¹⁾.

94) يقول جوستاف لوبون في كتابه «حضارة العرب ص 733»: «تدين الجراحة للعرب بأساليب تقدمية أساسية في فن الجراحة، ولقد استخدمت مؤلفاتهم في هذا الميدان متوناً أساسية للتعليم في كليات أوروبا الطبية حتى عهد قريب. عرفوا في القرن الحادي عشر علاج غشاوة العين، كما عرفوا عمليات تفتيت حصاة المثانة، وعلاج النزيف بصب الماء البارد، وعرفوا الأدوية الكاوية، وعمليات الخرم والكي بالنار. . إلخ. كما أن استعمال المخدر، ذلك الكشف الأساسي الذي ظُن أنه من كشوف العصر الحاضر، لم يكن خافياً عليهم؛ فكانوا يوصون في الواقع قبل العمليات المؤلمة باستعمال الزوان لتنويم المريض حتى يفقد الوعي والحواس».

1- د. حسان شمسي: مصدر سابق، ص 66.

95) تقول د. زيغرد هونكه في «شمس العرب تسطع على الغرب ص 310»: «فهذا الفرع بالذات (الطب) يدين للعرب بتقدمه وصعوده المفاجيء من مرتبة المهن الحقيرة الدنسة التي تكاد تكون بمنزلة مهنة الجلادين والجزارين، إلى القمة التي عرفها على أيدي العرب؛ فإلى العرب وحدهم يعود فضل رفع هذا الفن العظيم إلى المستوى الذي يستحقه، وإليهم وحدهم يرجع فضل بقاء هذا العلم . . .».

وتقول أيضاً: «لقد اهتم العرب بالجراحة فقاموا بعمليات جراحية كثيرة في البطن والمجاري البولية، ونجحوا في شق القصبة الهوائية وإيقاف نزيف الدم بربط الشرايين الكبيرة، وهو إنجاز علمي ادّعى تحقيقه لأول مرة الجراح الفرنسي أمبرواز باري Pare Ambroise عام 1552م، في حين أن الطبيب العربي أبا القاسم الزهراوي من قرطبة والذي عاش ما بين 324 - 403هـ قد حققه قبله بستمائة سنة. وقد ذكر ذلك في مؤلفه المعروف بـ «التصريف لمن عجز عن التأليف».

96) جاء في كتاب «عبقرية الحضارة الإسلامية ص 301»: «يعتبر الرازي أول من ابتكر خيوط الجراحة، وقفى على أثره علي بن العباسي، المتوفى 994م، الذي يعتبر أول منظرٍ عظيم في التشريح والفيزيولوجيا في تاريخ الطب العربي. كما كان كتابه «الملكي أو كامل الصناعة في الطب» أول عمل إسلامي يعالج الجراحة بشكل مفصل. وكان أول من استعمل المرقاة لمنع النزيف الشرياني، وشرح عملية الشق العجاني على الحصاة، وتكلم عن مداوة السرطان، وداء الخنازير (قروح صلبة في الرقبة)، وورم اللوزتين، وقطع الأطراف الفاسدة»⁽¹⁾.

الصيدلة

97) يقول جوستاف لوبون في «حضارة العرب ص 513»: «علم الصيدلة هو اختراع عربي أصيل»⁽²⁾.

98) يقول هومبلد في كتابه عن الكون: «والعرب هم الذين أوجدوا الصيدلية الكيماوية، ومن العرب أتت الوصايا المحكمة الأولى التي انتحلتها مدرسة ساليرم فانتشرت في جنوب أوروبا بعد زمن، وأدت

1- المصدر السابق، ص 60.

2- نقلاً عن د. حسان شمسي باشا: هكذا كانوا يوم كُنّا، مصدر سابق، ص 66.

الصيدلة ومادة الطب اللتان يقوم عليهما فن الشفاء إلى دراسة علم النبات والكيمياء في وقت واحد ومن طريقتين مختلفين، وبالعرب فتح عهد جديد لذلك العلم. . وأوجبت خبرة العرب بالعالم النباتي إضافتهم إلى أعشاب ذليفوريدس ألفي نبات، واشتمال صيدليتهم على عدة أعشاب كان يجهلها الإغريق جهلاً تاماً⁽¹⁾.

99) يقول سيديو عن الرازي وابن سينا بأنهما سيطرا بكتبهما على مدارس الغرب زمناً طويلاً. وعرف ابن سينا في أوروبا طبيباً فكان له على مدارسها سلطان مطلق مدة ستة قرون تقريباً؛ فترجم كتابه القانون المشتمل على خمسة أجزاء فطبع عدة مرات لعدده أساساً للدراسات في جامعات فرنسا وإيطاليا .

100) تقول الموسوعة البريطانية: «والحق أن كثيراً من أسماء الأدوية وكثيراً من مركباتها المعروفة حتى يومنا هذا، وفي الحقيقة المبنى العام للصيدلة الحديثة - فيما عدا التعديلات الكيماوية الحديثة بطبيعة الحال - قد بدأه العرب»⁽²⁾.

3- نقلا عن مصطفى السباعي: من روائع حضارتنا ص85

1. الموسوعة البريطانية 18/46 الطبعة الحادية عشرة.

101) يقول مايرهوف: «إن علم الصيدلة العربي استمر في أوروبا حتى منتصف القرن التاسع عشر»⁽¹⁾.

علم الكيمياء

102) يقول جورج سارتون في كتابه «المدخل إلى تاريخ العلوم»: «إن أبا المنصور الموفق كان علامة زمانه، فأعطى تعريفا وافيا لأكسيد النحاس، والأنتيمون، وطريقة استعمالهما في الحياة اليومية».

103) يقول ول ديورانت: «يكاد المسلمون يكونون هم الذين ابتدعوا الكيمياء بوصفها علماً من العلوم؛ ذلك أن المسلمين أدخلوا الملاحظة الدقيقة، والتجارب العلمية، والعناية برصد نتائجها في الميدان الذي اقتصر فيه اليونان - على ما نعلم - على الخبرة الصناعية والفروض الغامضة»⁽²⁾.

104) يقول دونالد هيل في كتابه «العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، ترجمة أحمد فؤاد باشا ص 98»: «عرف المسلمون جدولة الأوزان النوعية قبل الأوروبيين بكثير، وبدأ الاهتمام الشديد بهذا

2. حسان شمسي: مصدر سابق ص 66.

3. أنظر: أبو ريد شلبي: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ص 356.

الموضوع في أوروبا إبان القرن السابع عشر الميلادي، وبلغ ذروته في عمل روبرت بويل (ت: 1691م) الذي عين الوزن النوعي للزئبق على سبيل المثال - بطريقتين مختلفتين، تعطيان المقدارين (1376)، و(1357)، وكلاهما أقل دقة من القيمة التي سجلها الخازني، الذي كانت معظم نتائجه دقيقة تماماً».

105 يقول جوستاف لوبون الفرنسي في كتابه «حضارة العرب»: «قال بعض المؤلفين: إن لافوازيه هو واضع علم الكيمياء، ونسوا أننا لا عهد لنا بعلم من العلوم، ومنها علم الكيمياء، صار ابتداعه دفعة واحدة، وأنه كان عند العرب من المختبرات ما وصلوا به من اكتشافات لولاها ما استطاع لافوازيه أن ينتهي إلى اكتشافاته».

ويقول جوستاف أيضاً: «تألف من كتب جابر موسوعة علمية، تحتوي على خلاصة ما وصل إليه علم الكيمياء عند العرب في عصره، وتشتمل هذه الكتب على وصف كثير من المركبات الكيميائية التي لم تذكر قبله؛ كما الفضة (الحامض النتري)، الذي لا نتصور علم الكيمياء بغيره»

106) يقول أ. ج. هوليارد في كتابه «الكيمياء حتى عصر دالتون»: «إن الجلدكي توصل وبكل جدارة إلى أن المواد لا تتفاعل فيما بينها إلا بنسب وأوزان ثابتة».

107) يقول هوليارد في كتابه «صانعو الكيمياء»: «إن الجلدكي يعتبر بحق من العلماء الذين لهم دور عظيم في علم الكيمياء... واهتم الجلدكي اهتماماً بالغاً بقراءة ما كُتب عن علم الكيمياء، فاتخذ من قراءاته وتحليله طريقة لبناء مسلك علمي في علم الكيمياء، وهذا ما يسمى بآداب علم الكيمياء العربية والإسلامية، وقام الجلدكي بتجارب علمية في حقل الكيمياء، وإن كان معظم عمله تحليلياً، إلا أنه من العلماء الذين يدين لهم علماء العصر الحديث بالكثير».

108) يقول جوتييه: «إن العرب علمونا صنع الكتاب، وعمل البارود، وإبرة السفينة؛ فعلينا أن نفكر ماذا كانت نهضتنا لو لم يكن من ورائها هذه الآثار التي وصلتنا من المدنية العربية؟»⁽¹⁾.

1- محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية (226/1).

109) يقول انجل Engel المؤرخ الموسيقى في القرن العشرين: «عندما قدم العرب إلى أوروبا في مطلع القرن الثامن، كانوا أكثر تقدماً من الأمم الأوروبية في تهذيب الموسيقى وتشذيبها، وفي مجال صناعة الآلات الموسيقية، وهذا ما يعلل أثرهم الموسيقي المدهش»⁽¹⁾.

110) من أبرز مَنْ تحدث عن إنجازات الحضارة الإسلامية في الموسيقى المستشرق «فارمر هنري»، في الفترة الزمنية [1882 - 1962م].

ذاك المستشرق الذي احترف فن الموسيقى العربية، وكانت دارسته لتاريخ الموسيقى هي طريقه لتعلم العربية والفارسية، ولقد أوقف نشاطه كله على دراسة الموسيقى الشرقية عامة، والعربية خاصة، وقدم العديد من الآثار الفكرية والفنية كُتُبًا ومقالات ومحاضرات في هذا الميدان.... ولقد شغل كرسي أستاذ الموسيقى في جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة) سنة 1945م.. وفي جامعة جلاسجو.

2- موسوعة «ألف اختراع واختراع... التراث الإسلامي في عالمنا» تأليف عدد كبير من الباحثين الغرب، متاح pdf على الإنترنت، ص34

ولقد تناولت دراساته: التحقيق لتراث الموسيقى العربية، وآلاتها، وتأثيراتها في الموسيقى الغربية...

ومن مؤلفاته المنشورة:

- «مخطوطات موسيقية عربية» سنة 1926 م.
- «تاريخ الموسيقى العربية» عام 1929 م.
- «علماء الموسيقى الإغريقية في الترجمات العربية» سنة 1930 م.
- «الوقائع التاريخية في أثر الموسيقى العربية» سنة 1930 م.
- «آلات القدماء من أصل شرقي» سنة 1930 م.
- «كتاب أرغون القدماء» سنة 1931 م.
- «دراسات في آلات الموسيقى الشرقية» سنة 1931 م.
- «كتابات الفارابي العربية باللاتينية في الموسيقى» سنة 1934 م.
- ثبت المخطوطات العربية التي تتناول الموسيقى العربية النظرية والعملية وتاريخها سنة 1935 م.
- قَدِّم لكتاب «الملاحن» لأبي طالب المفضل بن سلمة سنة 1938 م.

- حقق كلا من: «أوصاف الآلات الموسيقية التركية»، و«الموسيقى في كتاب

الأغاني»، و«الميمونيون في الموسيقى»، و«الطرب في الليالي العربية»،.....

ويعد كتابه «مصادر الموسيقى العربية» أهم المراجع الشاملة في هذا الفن.

ومما شهد به وقاله عن إنجازات الحضارة الإسلامية في فن الموسيقى ما

يلي⁽¹⁾:

1. كان أكثرية النظريين العرب في فن الموسيقى من نوابغ الرابع

Cquadrivium ومن خيرة الطبيعيين والرياضيين. وإن نظرية

الموسيقى، والقواعد الطبيعية للصوت، التي جاءت بها الرسائل

اليونانية، حملت جمهرة من أولئك النظريين على إجراء تجارب خاصة

بأنفسهم، وهذه ناحية من أروع نواحي مجهوداتهم. ولقد قرأنا أكثر من

مرة قولهم إنهم وضعوا النظرية الفلانية والفلانية في حيز التطبيق

والعمل فوجدوها خاطئة، إلى غير ذلك، وإن نقدرات صفي الدين بن

عبد المؤمن، وتعاريف الفارابي، وابن سينا، أظهرت لنا طباع هؤلاء

الرواد الباحثين اللذين لم ينجحوا على ركبهم رُكَّعًا مقتبلين الآراء التي

1- فارمر: الموسيقى، دراسة منشورة بكتاب [تراث الإسلام]، بإشراف «أرنولد»، مصدر سابق & نقلاً

عن د. محمد عمارة: الإسلام في عيون غربية ص 292-295.

جاء بها سلفهم على عِلاتها مهما كانت اسماء أولئك الأسلاف شهيرة، إن لم تكن آراؤهم تلك صحيحة.

2. إن كلا من الفارابي وابن سينا قد زادا على ما جاء به الإغريق، وكما أصلح الفلكيون العرب أخطاء بطليموس وغيره، كذلك حَسَّنوا ما خَلَّفَهُ لهم أساتذتهم الإغريق من تراث موسيقى. فمقدمة الفارابي لكتابه الكبير في الموسيقى تضاهي في الواقع، إن لم تزد كل ما ورد من المصادر اليونانية، ومما لا شك فيه أن العرب حققوا بعض التقدم في نظرية المبادئ الطبيعية للصوت، وعلى الأخص في قواعد انتشاره، ومما لا شك فيه أن الستار سيزاح عن كثير من معميات المصطلحات والعبارات اليونانية العلمية التي استغلقت على الأفهام وأضحت مجالا للأخذ والرد بين كتَّاب اليونان، وذلك بعد نشر آثار النظريين العرب بإتقان وتهذيب.

3. إن آلات الموسيقى العربية تفوق الحصر، ويتعذر علينا هنا أن نأتي على ذكر عُشرها. لقد أوصل العرب صناعة آلات الموسيقى إلى مرتبة الفن الجميل، وكتبوا عدة رسائل وكتب في طرق صنعها . . . ولدينا أكثر من دليل على أن العرب كانوا من مخترعي آلات الموسيقى ومحسنيها . . .

4. إن شكلاً من أشكال العلامات الموسيقية (النوتة) شاع استعماله عند العرب في السنوات الأولى من القرن التاسع الميلادي. ولقد كان أغلب أصحاب الصناعة الآلاتية يدرسون الموسيقى عن طريق السماع.

5. لقد كان التراث الذي تركه العرب لعالم الموسيقى هبةً جسيمةً رائعةً، فحيثما أرسلنا الطرف في الشرق وجدنا تأثير الفن العربي عملياً. أما عن انتفاع النظريين التُّرك والفرس وغيرهم أيضاً فهناك كثير من الشواهد الخطية..... ففي تركيا نجد مترجمات تركية لرسائل الفارابي وصفي الدين وعبد القادر..... أما عن غرب أوروبا، فإن الفوائد المستخلصة من الاحتكاك بالحضارة العربية أكثر وأعظم، فلقد استمدت أوروبا تراثها من العرب بسبيلين:

- الاحتكاك السياسي الذي أوصل تراث الفن العملي باليد واللسان.

- التماس الأدبي والثقافي الذي توصل إلى نقل تراث الفن النظري بالترجمة وبتعاليم الباحثين من علماء الغرب الدارسين في المعاهد الإسلامية بإسبانيا وغيرها...

ويقول: «لعل أهم تراث خلفه العرب لأوروبا هو «الموسيقى الموزونة»، ولقد كان الغناء الموزون قبل مجيء «فرانكو الكولوني» - حوالي سنة 1190 م

- غير معروف في أوروبا .. لقد قُدر للحضارة العربية، التي سمت إلى الأوج، أن تعكس ضوءها على أوروبا الغربية، وثبت لدينا أن الإسبان كانوا يقلدون النماذج العربية في الأسجاع والأوزان الشعرية للقصيدة في غضون القرن التاسع الميلادي. ولقد تأثر بها حتى اليهود أنفسهم في غضون القرن العاشر، مما لا ريب فيه أن الموسيقى التي تصاحب الشعر استعيرت أيضا، لأنهما يؤلفان وحدة لا انفصام لها»...

ويقول: «إن التراث العربي المتخلف لأوروبا الغربية، فيما يخص الآلات الموسيقية والفن الموسيقي الآلي إنما ينطوي على عظيم أهمية. أما وأن للعرب فضلا في إدخال أسماء عدد من الآلات الموسيقية بأشكالها الحالية في أوروبا الغربية، فهذا ما قرّ الرأي عليه بصورة عمومية، فأصل كلمات «العود» و«الرباب» و«القيثار» و«النقارة» هو العربي... لقد دخل عدد كبير من أشكال عربية خالصة جديدة تماما، وكانت ذات أهمية كبيرة للموسيقى الأوربية.

فأولا: وصل كل أسرة الآلات الوترية لمجموعات العود والطنبور والقيثار.

وثانيا: وردت الآلات القوسية بمختلف أشكالها . . . ولم يكن لدى المطربين الأوربيين قبل الاحتكاك العربي إلا ما يُدعى بـ (Harb Githara) من الآلات الوترية، ولم يكن لديهم غير أذانهم تهديهم إلى (الدستان) الصحيح، فجلب العرب إلى أوروبا عيدانهم وطنايرهم وقيثاراتهم بمواضع النغمات مؤشرة فوق زند الآلة بواسطة ما يسمى (fret) —من العربية: فرضة أو فريضة— وهي التي حددت مقياس المسافات (الميزان الصوتي)، وهو تقدم عظيم بحد ذاته. والواقع، ربما كانت «دستانات» (فرضيات) العود العربي هي التي أدت إلى استعمال مقام البعد الكبير Majormode في أوروبا....».

القانون والتشريع

111) قد كان لاتصال الطلاب الغربيين بالمدارس الإسلامية في الأندلس وغيرها أثر كبير في نقل مجموعة من الأحكام الفقهية والتشريعية إلى لغاتهم، ولم تكن أوروبا في ذلك الحين على نظام متقن ولا قوانين عادلة، حتى إذا كان عهد نابليون في مصر ترجم أشهر كتب الفقه المالكي إلى اللغة الفرنسية، ومن أوائل هذه الكتب «كتاب خليل الذي كان نواة القانون المدني الفرنسي، وقد جاء متشابهاً إلى حد كبير مع أحكام الفقه

المالكي، يقول العلامة سيديو: «والمذهب المالكي هو الذي يستوقف نظرنا على الخصوص لما لنا من الصلات بعرب إفريقية، وعهدت الحكومة الفرنسية إلى الدكتور بيرون في أن يترجم إلى الفرنسية كتاب المختصر في الفقه للخليل بن إسحاق بن يعقوب المتوفى سنة 1422م».

112) يقول المستشرق الألماني «شاخت جوزيف» في بحثه «الشريعة الإسلامية»⁽¹⁾: «إن التشريع الإسلامي ذو منهج منظم، ويؤلف مذهباً متماسكاً، ونُظْمُهُ المتعدده مترابطة بعضها مع بعض... وإن التشريع الإسلامي يقدم مثلاً لظاهرة فريدة يقوم فيها العلم القانوني، لا الدولة، بدور المشرِّع، وتكون فيها لمؤلفات العلماء قوة القانون، وكان هذا يعتمد على توفر شرطين هما: أن العلم القانوني كان هو الضامن لاستقرار ذاته واستمراره، ثانياً: أن سلطة الدولة حلت مكانها سلطة أخرى، وهي سلطة الفقه والفقهاء... وقد تحقق الشرط الأول بفضل مبدأ الإجماع الذي له السلطة العليا بين أصول الفقه الإسلامي، وحقق الشرط الثاني القول بأن أساس الشريعة الإسلامية هو حكم الله».

1. شاخت: بحث بعنوان «الشريعة الإسلامية»، كتاب «تراث الإسلام»، القسم الثالث، مصدر سابق. &

انظر: الإسلام في عيون غربية ص 181-182.

ويقول أيضاً: «إن التشريع الإسلامي قد أثر تأثيراً عميقاً في جميع فروع القانون في إقليم الكرج/ جمهورية جورجيا، وذلك خلال فترة تمتد من عصر السلاجقة إلى عصر الصفويين، أي من القرن الثاني عشر للقرن السادس عشر الميلادي..... كذلك كان للتشريع الإسلامي تأثير على أهل الديانات الأخرى، من اليهود والنصارى، الذي شملهم تسامح الإسلام وعاشوا في الدولة الإسلامية».

ويقول أيضاً: «إن من أهم ما أورثه الإسلام للعالم المتحضر قانونه الديني الذي يسمى بالشرعية، وهي تختلف اختلافاً واضحاً عن جميع أشكال القانون، إنها قانون فريد؛ فالشريعة الإسلامية هي جملة الأوامر الإلهية التي تنظم حياة كل مسلم من جميع وجوهها».

في مجال الفنون

113) يقول جوستاف لوبون في كتابه «حضارة العرب»: «وقد بلغ الخط العربي من الصلاح للزينة ما كان رجال الفن من النصارى في القرون الوسطى وفي عصر النهضة يكثرون من استنساخ ما كان يقع تحت أيديهم اتفاقاً من قطع الكتابات العربية على المباني المسيحية تزيينا لها، سائرين في ذلك مع الهوى، وقد شاهد مسيو لُنْجبريه ومسيو لافوا

وغيرهما الشيء الكثير منها في إيطاليا، ومما شاهده مسيو لافوا في مكان الأمتعة من كاتدرائية ميلانو بابٌ مبنيٌّ على طراز رسم البيكارين يحيط به إفريز حجري مؤلف من كلمة عربية مكررة عدة مرات، وكتابة عربية حول رأس المسيح المصور فوق أبواب القديس بطرس التي أمر بإنشائها البابا أوجين الرابع، وخطوط كوفية طويلة على قميص القديس بطرس والقديس بولس»، ثم يتابع فيقول: «ومن دواعي أسفي عدم ترجمة هذا الكاتب لهذه الكتابات، فلعل الكتابة التي حول رأس المسيح هي كلمة: (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

علم الفلك

(114) يقول ديفيد يوجين سمث في كتابه «تاريخ الرياضيات» في المجلد الثاني منه: «يَدَّعون أن قانون الرقاص هو من وضع جاليليو، إلا أن ابن يونس لاحظته وسبقه إليه؛ حيث إن الفلكيين العرب يستعملون الرقاص لحساب الفترات الزمنية أثناء الرصد». وأضاف جورج سارتون في المدخل إلى تاريخ العلم: «إن ابن يونس يعتبر بلا شك من

عمالقة القرن الحادي عشر الميلادي، وأعظم فلكي ظهر في مصر، وهو مكتشف الرقاص⁽¹⁾.

115) تقول زيجريد هونكه في كتابها «شمس العرب تشرق على الغرب ص 134»: «قليلون هم الناس الذين يعلمون ما قام به العرب في حقل استخدام الهواء والسيطرة عليه. ففي عام 880م بنى الطيب «ابن فرناس» في اسبانية أول طائرة صنعها من القماش والريش، ثم صعد بها مرتفعاً وترك نفسه للهواء يحمله، فطار قليلاً ووفق إلى بعض تجارب الانزلاق بها، ثم وقع أرضاً فتحطم، وتحطم معه حلم الإنسانية القديم، وحلم إيكاروس Ikaros بالتحليق في الأجواء».

وتقول أيضاً: «لقد اهتم العرب اهتماماً بالغاً بالآلات الفلكية، وما ورثوه عن اليونان كان بدائياً، واعجز من ان يساندهم في سباقهم نحو الأجداد التي رسموها لأنفسهم. فكان أن طوروها وزادوا عليها أشياء عديدة وقدموا اختراعات أخرى تشبه المعجزات، مبتكرين بذلك آلات مختلفة للمراقبة والقياسات، اخذها الغرب عنهم وبقي على استعماله لها أمداً طويلاً دون أن يكون لاختراع المنظار المكبّر المتأخر أي تأثير في ذلك».

1- انظر: علي عبد الله الدفاع: العلوم البحتة في الحضارة العربية الإسلامية ص 302

116) يقول المستشرق الفرنسي كارادي فو⁽¹⁾: «لقد أولى فلكيو العرب اهتماماً عظيماً لإتقان صنع آلات الرصد، وأهمها (ذات الحلق)، وأكمل العرب (ذوات الحلق) الإسكندرية والبطليوسية وأدخلوا عليها تحسينات بإضافة دائرتين إليها، إحداهما لتثبيت النجوم من جهة الأفق والأخرى لرصد الارتفاع، وسعوا لجعل آلاتهم بأكبر حجم مستطاع لتقليل الخطأ القياسي إلى أدنى حد ممكن، ثم صاروا يعملون أدوات أخرى كل واحدة منها خاصة بنوع مُعين من الرصد فكان في مرصد «المراغة» آلات مركبة من دوائر معدنية أو خشبية لاستعمالها في أرصاد معلومة، كرصد فلك البروج ecliptic والمنقلبات solistices وكان هناك ما يسمى بذات الحلق الإستوائية، وذات الحلق الشمسية، المؤلفة من خمس حلقات يبلغ قطر أكبرها نحو من اثنتي عشرة قدم مقسمة إلى درجات ودقائق. ولما أراد الملك «الفونسو القشتالي» في القرن الثالث عشر الميلادي أن يعمل (ذات الحلق) رجع إلى العرب مسترشداً بخبرتهم ومستمداً المعلومات الضرورية بهذا الشأن من كتبهم، فكانت آله أدق وأبدع من كل ما صنع منها حتى

1. كارادي فو: الفلك والرياضيات، بحث منشور بكتاب تراث الإسلام بإشراف (أرنولد) ص 564 & أنظر: د.

عمارة: الإسلام في عيون غريبة ص 253

ذلك الوقت، ولما أراد «ريجيو مونتانس» في القرن الخامس عشر الميلاد في عهد إحياء العلوم، إعادة تركيب (ذات الحلق) الشمسية البطيوسية، استهدى بالكتب العربية، ومنها اقتبس العضادة *alidade* العربية الأصل....وعلينا أخيراً أن ننوه بفلكيي سمرقند الذين كانت لجداولهم الفلكية الموضوعة سنة 1437 م لأمير من أسرة «تيمورلنك» بالقرن الرابع عشر الميلادي باسم «أزياج أولغ بك» عظيم منزلة معتبرة في الغرب، فقد طبعت في إنجلترا بأجزاء متتابعة خلال القرن الثامن عشر.

ويقول أيضاً في المصدر السابق ص 589: لقد كان لهؤلاء العلماء العرب أدمغة حرة مستطلعة، فلم يترددوا في انتقاد «بطليموس» نفسه، وقد أعلنوا بلسان فيلسوفهم «ابن رشد» أنهم ضد نظرية تعدد الأفلاك وابتعادها عن المركز. لقد كانوا يتطلعون إلى نظم أبسط وأقرب إلى الطبيعة وسبق «للبيروني» أن قال بأن فرضيات الفلك إنما هي مترابطة فيما بينها، وقوله هذا شبيه بما توصل إليه أسلافه أمثال «أرسطافوس الساموسي» [القرن الثالث ق. م] و«سلوقوس» قبل ألفي سنة من ظهور «كوبرنيكوس» ..

لكن روح البحث العلمي العربي لم تعرقلها في هذه الفترة أي نظريات علمية موضوعة أو تقاليد ثابتة».

الزراعة

117) يقول رتشارلس سينوبوس في كتابه «تاريخ الحضارة»: «جرى أمراء العرب على أصول إسقاء الأرض بفتح الترع، فحفروا الآبار وجازوا بالمال الكثير ممن عثروا على ينابيع جديدة، ووضعوا المصطلحات لتوزيع المياه بين الجيران، ونقلوا إلى أسبانيا أسلوب النواعير لتمنح المياه والسواقي التي توزعها، وإن سهل "بلسنه" الذي جاء كأنه حديقة واحدة هو من بقايا عمل العرب وعنايتهم بالسقيا، كما أن العرب استعملوا جميع أنواع الزراعة التي وجدوها في مملكتهم وحملوا كثيراً من النباتات إلى صقلية وأسبانيا، وربوها في أوروبا فأحسنوا تربيتها حتى لتظنها متوطنة وذلك مثل الأرز والبطيخ والقنب والمشمش والبرتقال والكبار والنخيل والهلين والزعفران والبطيخ الأصفر والعنب والعطر والورد الأزرق والأصفر والياسمين بل والقطن والقصب»⁽¹⁾.

1. د. عبدالمتعال محمد الجبري، الحضارة والتمدن الإسلامي بأقلام فلاسفة النصارى، مكتبة وهبة 1993م،

ص 39 & نقلًا عن د. راغب السرجاني: قصة الإسلام، الموقع الإلكتروني

118) يقول المستشرق «رينالدي»: «إن العرب أعطوا من النبات مواد كثيرة للطب والصيدلة، وانتقلت إلى الأوروبيين من الشرق أعشاب ونباتات طبية وعلطور كثيرة، كالزعفران والكافور... وذكر «ليكرك» جملة من المواد الطبية التي أدخلها العرب في العقاقير والمفردات الطبية، يزيد عددها على الثمانين، وقد أوردتها بالنص العربي، وأورد ما وضع لها من كلمات لاتينية؛ منها ما هي منحوتة أو مقتبسة من الأصل العربي، ومنها ما لا تزال بلفظها العربي، ولكن بحروف لاتينية»⁽¹⁾.

119) يقول كاباتون: «وكانت مدينة العرب في إسبانيا ظاهرة في الأمور المادية؛ وذلك بما استعملوه من الوسائل الزراعية لإخصاب الأراضي البور في الأندلس...». ويعترف سيديو بأن العرب أضافوا مواد نباتية كثيرة؛ كان يجهلها اليونان جهلاً تاماً، وزودوا الصيدلة بأعشاب يستعملونها في التطبُّب والمداواة⁽²⁾.

1. نقلًا عن قدرى حافظ طوقان: العلوم عند العرب ص28.

2. د. راغب السرجاني: الموقع الإلكتروني، قصة الإسلام، رابط الموضوع:

العمارة

يقول «جرابار أوليج» في بحثه عن العمارة الإسلامية⁽³⁾:

1- لقد حقق المسلمون في القرنين الأول والثاني للهجرة (السابع والثامن للميلاد) إنجازات رائعة، وبذلك تمكنوا خلال هذين القرنين من أن يُنشئوا من العدم حضارة إسلامية.

2- إن العمارة الإسلامية تكونت في عالم ذي ثروة معمارية هائلة، فيما يتعلق بالأشكال والأساليب الفنية، وأيضاً نشأت في عالم يمتاز بقدرة كبيرة على التصرف بمرونة في المعاني التي تُعطى للأشكال والأساليب إن العمارة الإسلامية كان لا بد لها من أن تنشأ بوصفها ظاهرة فريدة متميزة بذاتها، انبثقت عن مجموع كبير معقد من الأشكال السابقة عليها أو المعاصرة لها....إنها مجرد مثل واحد لقدرة فريدة لدى المسلمين على تحويل عناصر شكلية أو وظيفية عديدة أخرى إلى شيء إسلامي... لقدرة المسلمين الهائلة على تطويع الأشكال المستمدة من أقاليم عديدة مختلفة بحيث تلبى حاجة الإسلام....هذه القدرة على إعطاء معنى إسلامي منسجم مع طبيعة الإسلام، لعدد كبير من الطرز

3. جرابار أوليج: العمارة، بحث منشور بكتاب تراث الإسلام، القسم الثاني، مصدر سابق، ص 17، 18،

21, 25 & نقلاً عن د. محمد عمارة: الإسلام في عيون غربية ص 298).

الفنية المتنوعة، هو ما نود أن نسميه بالطريقة الإسلامية. وبفضل وجود تاريخ لطريقة إسلامية إلى جانب تاريخ الطرز المعمارية المحددة، اكتسبت العمارة الإسلامية سمة من أكثر سماتها تفرّدًا.

أخلاق الإسلام والمدنيّة الحديثة

120) يقول المؤرخ الإنجليزي ويلز: «كل دين لا يسير مع المدنيّة في كل أطوارها فاضرب به عرض الحائط، وإن الدين الحق الذي وجدته يسير مع المدنيّة أينما سارت هو الإسلام... ومن أراد الدليل فليقرأ القرآن وما فيه من نظرات ومناهج علمية، وقوانين اجتماعية؛ فهو كتاب دين، وعلم، واجتماع، وخلق، وتاريخ، وإذا طُلب مني أن أحدد معنى الإسلام فإني أحده بهذه العبارة: الإسلام هو المدنيّة»⁽¹⁾.

121) يقول جوستاف لوبون: «... وإن العرب هم أول من علّم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين... فهم الذين علموا

1. عبد المنعم النمر: الإسلام والمبادئ المستوردة ص 84.

الشعوب النصرانية، وإن شئت فقل: حاولوا أن يعلموها التسامح الذي هو أئمن صفات الإنسان... ولقد كانت أخلاق المسلمين في أدوار الإسلام الأولى أرقى كثيرا من أخلاق أمم الأرض قاطبة»⁽¹⁾.

122) يقول الكاتب الأمريكي أندرو ديكسون وايت: «إن معاملة المجانين في العالم الإسلامي - منذ عصر عمر بن الخطاب وما بعده - كانت أرحم بكثير من الوضع الذي ساد في طول العالم المسيحي وعرضه مدة ثمانية عشر قرناً من الزمان؛ كان المجانين يُعتَبَرُونَ خلالها ممسوسين تَقَمَّصَتْهُمُ الشياطين؛ ومن ثَمَّة تعرضوا لأقصى ضروب التنكيل والوحشية».

ويقول أيضا: «إن الراهب جون هوارد لاحظ في القرن الثامن عشر ما لاحظته غيره من الرهبان والرَّحالة الأوربيين في ذلك العصر وقبل ذلك، أن المسلمين قد وفروا كثيرا من الوسائل الرحيمة للمجانين، لم ير هؤلاء لها مثيلاً في أراضي أوروبا المسيحية. والحقُّ أن المسلمين هم الذين نَبَّهُوا إلى

1. جوستاف لويون: حضارة العرب ص 566

ضرورة بذل الجهود التي بدأت في أوروبا ابتداء من القرن الثامن عشر،
لمعاملة المجانين معاملة رحيمة»⁽¹⁾.

123) يقول رئيس وزراء الهند جواهر لال نهرو في كتابه (Discovery of India): «إن دخول الغزاة الذين جاءوا من شمال غرب الهند في الإسلام له أهمية كبيرة في تاريخ الهند؛ إنه قد فضح الفساد الذي كان قد انتشر في المجتمع الهندوكي، إنه قد أظهر انقسام الطبقات واللمس المنبوذ وحب الاعتزال عن العالم الذي كانت تعيش فيه الهند. إن نظرية الأخوة الإسلامية والمساواة التي كان المسلمون يؤمنون بها، ويعيشون فيها، أثرت في أذهان الهندوس تأثيرا عميقا، وكان أكثر خضوعا لهذا التأثير البؤساء الذين حرم عليهم المجتمع الهندي المساواة والتمتع بالحقوق الإنسانية»⁽²⁾.

A. D. White: A History of the Warfare of Science with
.Theology in Christendom Vol. 11/123

(1) نقلا عن أبي الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص 107

124) يقول البروفسور هوكينج: «إن الشغف بالعلم والتعطش الدائم لارتياذ مناهله، صفات امتاز بها هؤلاء العرب؛ وهي التي تمد عبقرياتهم بالقوة المبدعة الخلاقة؛ يعشقون الحرية ويتطلعون دوماً إلى المثل العليا بدون تعصب ولا تزمّت... ولسوف نرى عندما تزول اللفحة المحرقة التي أصابت العرب وخذرت نفوسهم، أن عناصر الثروة العلمية الكامنة، والشجاعة الفكرية الخافية، سوف تنطلق من عقّالها، وتحرر من أسرها؛ ليعودوا سريعاً لاحتلال مكانتهم على الأرض، والدليل على قولي هو ما كان من انطلاقة العرب في نهضتهم الأولى، وما تركوه للأجيال من تراث علمي وآثار خالدة»⁽¹⁾.

125) يقول سفير الهند في مصر سابقاً باني كار: «من الواضح المقرر أن تأثير الإسلام في الديانة الهندية كان عميقاً في هذا العهد (الإسلامي)، وإن فكرة عبادة الله في الهنادك مدينة للإسلام، إن قادة

(1) هوكينج: مبادئ السياسة العالمية ص 25 & نقلاً عن محمد الصادق عقيقي: تطور الفكر العلمي عن المسلمين، ص 19.

الفكر والدين في هذا العصر وإن سمّوا آلهتهم بأسماء شتى قد دعوا إلى عبادة الله، وصرّحوا بأن الإله واحد، وهو يستحق العبادة، ومنه تطلب النجاة والسعادة. وقد ظهر هذا التأثير في الديانات والدعوات التي ظهرت في الهند في العهد الإسلامي كديانة Bhagti، ودعوة كبير⁽¹⁾.

126) يقول بارتلمي سنت هيلر في كتابه عن القرآن: «أسفرت تجارة العرب وتقليدهم عن تهذيب طبائع أمرائنا الغليظة في القرون الوسطى. وتعلم فرساننا أرق العواطف، وأنبلها، وأرحمها من غير أن يفقدوا شيئاً من شجاعتهم، وأشك في أن تكون النصرانية وحدها قد أوحى إليهم بهذا مهما بولغ في كرمها»⁽²⁾.

127) يذكر فرانتر روزنتال في كتابه «إستمرار علوم الإغريق القدماء في الاسلام»: «أنه لا بد من فهم موقف الدين الاسلامي ذاته من العلم، وكان موقفه المحرك الكبير لا للحياة الدينية فحسب بل كذلك للحياة الانسانية من جميع جوانبها. وموقف الاسلام هذا هو الدافع الأكبر في

1- A Survey of India. history p.132

2- جوستاف لوبون: حضارة العرب ص577، نقلاً عن خالد سليمان الخويطر: جهود العلماء المسلمين في تقدم الحضارة الإنسانية ص 251.

السعي وراء العلوم وفي فتح الأبواب للوصول إلى المعارف الانسانية، ولولاه لانحصرت الترجمة في أشياء ضرورية للحياة العلمية وحدها»⁽¹⁾.

128) يقول أرنولد: «إن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق؛ وإن نظرية العقيدة الإسلامية تلتزم التسامح وحرية الحياة الدينية لجميع أتباع الديانات الأخرى».

129) يقول «ركلدوس دي مونت كرويسيس»، وهو مبشر دومينقاني، بعدما زار الشرق في نهاية القرن الثالث عشر: «لقد استولى علينا الدهش؛ كيف أن أعمالاً تتصف بمثل هذا الكمال يمكن أن تحيا في ظل شريعة تصطبغ بمثل هذه النزعة الإلحادية؟!... لهذا نستعيد الآن في إيجاز أعمال العرب، تلك المتصفة بالكمال، من ذا الذي لا يعجب إذا تأمل جيداً أية عناية فائقة بالدراسة يمكن أن توجد بين العرب، وأي إخلاص في الصلاة، وأية رحمة بالفقراء، وأي تبجيل لاسم الله والأنبياء

3- د. محمد عمارة: الإسلام في عيون غربية ص 135.

والأماكن المقدسة، وأي وقار في أخلاقهم وفي معاملتهم للغرباء، وأية مودة تربط بين جنسهم»⁽¹⁾.

130) يقول مونتجو مري وات: «إن القرآن يحظى بقبول واسع بصرف النظر عن لغته؛ لأنه يتناول القضايا الإنسانية»⁽²⁾.

131) يقارن «جابريلي المشهور بفرانشسكو» بين سماحة الإسلام وتعصب النصرانية فيقول: «إن الإسلام أضفى على «عقائد أهل الكتاب» أي المسيحية واليهودية مكانة خاصة يحميها الشرع، وإن تكن ذات مرتبة أدنى في الدولة، ولم يدم التزمت والاضطهاد فترات طويلة إلا في أوقات الشدة وعدم الشعور بالأمان، أما قانون المسيحية فليس فيه أي مكان لأي دين آخر، لذا فقد انتقل بسرعة وتطور منطقي، عندما انتصر على الإسلام، إلى التعصب والاضطهاد»⁽³⁾.

132) يقول جورج سيل — مترجم القرآن إلى الإنجليزية — القرن الثامن عشر: «لقد صادفت شريعة محمد ترحيباً لا مثيل له في العالم.... وإن

1- المصدر السابق، ص 138.

2- المصدر السابق، ص 138.

1. جابر ييلي: الإسلام في عالم البحر المتوسط، دراسة منشورة بكتاب التراث الإسلام، تصنيف شاخت وبوزورت، القسم الأول ص143، مصدر سابق

الذين يتخيلون أنها انتشرت بحد السيف إنها ينخدعون إنخداعاً عظيماً»⁽¹⁾.

133) يقول جليبرتو فريري: «لقد كان هؤلاء المسلمون الأفارقة يشكلون عنصرًا نشيطاً مبدعاً، ويمكن ان نقول: إنهم من أنبل مَنْ دخل إلى البرازيل خُلُقاً»⁽²⁾.

134) يذكر المؤرخ الإنجليزي الشهير ستيفن رونسيمان في موسوعته الضخمة «تاريخ الحملات الصليبية»: «الواقع أن المسلمين الظافرين اشتهروا بالاستقامة والإنسانية، فبينما كان الفرنج، ومنذ ثمان وثمانين سنة، يخوضون في دماء ضحاياهم، لم تتعرض دار من الدور للنهب، ولم يجل بأحد من الأشخاص مكروه، إذ صار رجال الشرطة، بناء على أوامر صلاح الدين، يطوفون بالشوارع والأبواب يمنعون كل اعتداء يقع على المسيحيين، ومن المناظر التي تدعو للحزن والأسى، ما حدث من التفاف العادل إلى أخيه صلاح الدين يطلب منه إطلاق سراح ألف

2. د. عمارة: مصدر سابق، ص 39.

3. د. جهاد الثرباني، مائة من عظماء أمة الإسلام، دار التقوى، ط72، عام 2017، ص408

أسير، على سبيل المكافأة على خدماته له، فوهبهم له صلاح الدين، فأطلق العادل سراحهم على الفور، وإذ ابتهج البطيرك هرقل لأن يلتمس هذه الوسيلة الرخيصة لفعل الخير، لم يسعه إلا أن يطلب من صلاح الدين أن يهبه بعض الأرقاء ليعتقهم، فبذل له صلاح الدين سبعمائة أسير، كما جعل صلاح الدين لباليان خمسمائة أسير، ثم أعلن صلاح الدين أنه سوف يطلق سراح كل شيخ وكل امرأة عجوز، ولما أقبل نساء الفرنج اللاتي افتدين أنفسهن، وقد امتلأت عيونهن بالدموع، فسألن صلاح الدين أين يكون مصيرهن بعد أن لقي أزواجهن أو أبائهن مصرعهم أو وقعوا في الأسر، أجاب بأن وعد بإطلاق سراح كل من في الأسر من أزواجهن، وبذل للأرامل واليتامى من خزانته العطايا كل بحسب حالته، والواقع أن رحمته وعطفه كانا على نقيض أفعال الغزاة المسيحيين في الحملة الصليبية الأولى»⁽¹⁾.

135) يقول توينبي في كتابه «دراسة التاريخ»: «وفي عالم الفكر كانت

فتوحات الصليبيين الموقوتة في الشام، وفتوحاتهم الدائمة في صقلية

1. د. جهاد الثرباني، مائة من عظماء أمة الإسلام، دار التقوى، ط72، عام 2017، ص453.

والأندلس محطات إرسال متعددة أمكن عن طريقها نقل كنوز عالم الشرق المتحضر إلى العالم المسيحي الغربي، وفي مقدمة ما نقله الغرب التسامح الديني والعلوم الإنسانية التي أسرت قلوب الغربيين، ولم يستطع الغرب أن يهضم كل ما كان لدى الشرق من قيم ونظم».

136) يقول العالم الصيني قوان فيين: «الحضارة الإسلامية من أقوى حضارات الأرض، وهي قادرة على اجتياز أي عقبات تواجهها؛ لأنها حضارة إنسانية الطبع، عالمية الأداء، رفيعة القدر علمياً وفكرياً وثقافياً وبعدها تعمقت في الأدب العربي القديم والحديث ازداد اقتناعي بأن الشرق يمتلك سحر الحضارة والأدب والثقافة، وأنه صاحب الكلمة المفكرة والعقلية المنظمة؛ إذن فالحضارة الإسلامية تحمل عوامل البقاء، لأنها عصية على الهدم، لتوافر أركان التجدد والحيوية في نبضها المتدفق، وهي من أقوى حضارات الأرض قاطبة؛ لأنها تستوعب كل ما هو مفيد من الآخر وتصهره في نفسها ليصبح من أبنائها، بخلاف الحضارة الغربية المعاصرة، كما أن الحضارة العربية الإسلامية تتسم بأنها عالمية الأداء والرسالة، إنسانية الطابع، جوهرها نقي ومتسامح».

(137) يقول العالم الأسباني خوسيه لويس بارسلو: «أرسى الإسلام مدينة متقدمة تعد في الوقت الحاضر من أروع المدن في كل العصور، كذلك فإنه جمع حضارة متينة متقدمة، وذلك إذا ما طرحنا جانباً الاضمحلال الواضح للقوى السياسية، فإن الشخصية الجماعية للإسلام قد صمدت أمام كافة أنواع التغيرات؛ ذلك لأن معيار الشخصية الجماعية هو المدنية عامة والتقاليد التي لم تنطفئ أو تخبأ. هذه هي روح الإسلام كما يجب أن يفهمها أولئك الذين يحاولون عن عمدٍ وسوء نية تشويه صورته».

(138) تقول زيجريد هونكة في كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب ص 357»: «لعل من أهم عوامل انتصارات العرب هو ما فوجئت به الشعوب من سماحتهم، حتى إن الملك الفارس كيروس KVROS نفسه قال: «إن هؤلاء المنتصرين لا يأتون كمخربين»، فما يدعيه بعضهم من اتهامهم بالتعصب والوحشية إن هو إلا مجرد أسطورة من نسج الخيال، تكذبها آلاف من الأدلة القاطعة على تسامحهم وإنسانيتهم في معاملاتهم مع الشعوب المغلوبة».

فكر المسلمين الناضج

139) يقول المسيو سيديو: «لم يشهد المجتمع الإسلامي ما شهدته أوروبا من تحجر العقل، وشل التفكير، وجذب الروح، ومحاربة العلم والعلماء، ويذكر التاريخ أن اثنين وثلاثين ألفاً قد أحرقوا أحياء! ولا جدال في أن تاريخ الإسلام لم يعرف هذا الاضطهاد الشنيع لحرية الفكر، بل كان المسلمون منفردين بالعلم في تلك العصور المظلمة، ولم يحدث أن انفرد دين بالسلطة، ومنح مخالفه في العقيدة كل أسباب الحرية كما فعل الإسلام»⁽¹⁾.

140) يقول كارادي فو: «إن العرب ارتفعوا بالحياة العقلية والدراسة العلمية إلى المقام الأسمى في الوقت الذي كان العالم المسيحي يناضل نضال المستميت للانعتاق (للتحرر) من أحابيل البربرية وأغلاها، ووصلوا إلى قمة نشاطهم (الذي استمر حتى القرن الخامس عشر) في القرنين التاسع والعاشر. ومن القرن الثاني عشر فصاعداً، كانت مراكش والشرق الأوسط محط أنظار كل غربي يميل إلى العلم ويتذوقه،

1. حسن شمسي باشا: هكذا كانوا يوم كنا ص 83، & د. راغب السرجاني: ماذا قدم المسلمون للعالم

وفي هذه الفترة شرع أبناء أوروبا يترجمون آثار العرب، كما كان العرب قد ترجموا آثار الإغريق⁽¹⁾.

141) يقول الكاتب الفرنسي موريس بوكاي في كتابه «التوراة والإنجيل والقرآن والعلم»: «ونحن نعلم أن الإسلام ينظر إلى العلم والدين كتوءمين، وأن تهذيب العلم كان جزءاً من التوجيهات الدينية منذ البداية، وأن تطبيق هذه القاعدة أدى إلى التقدم العلمي العجيب في عصر الحضارة الإسلامية العظمي، التي استفاد منها الغرب قبل نهضته⁽²⁾».

142) يقول المستشرق الفرنسي أتيين دينيه: «يرجع الفضل إلى الفيلسوف المسلم ابن رشد، الذي عاش في الأندلس، القرن الثاني عشر الميلادي، في إدخال حرية الرأي - التي يجب أن لا نخلط بينها وبين الإلحاد - في أوروبا، وتحمس أحرار الفكر في العصر الوسيط الأوربي لشروحه لأرسطو، وكانت هذه الشروح مصبوغة بصبغة إسلامية قوية. ويمكن أن نعتبر بحق أن التيار الفكري الذي نشأ عن هذا التحمس لابن رشد

1- كارداي فو: الفلك والرياضيات، بحث منشور بكتاب تراث الإسلام بإشراف (أرنولد) ص 564 & نقلا عن د. راغب السرجاني: ماذا قدم المسلمون للعالم ص 735.

2- نقلا عن وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى ص 14.

كان أصل التفكير المنطقي الحديث، فضلاً عن كونه من أصول الإصلاح الديني»⁽¹⁾.

143) تقول زيجريد هونكه: «إن سيلا عرماً من نتاج الفكر العربي، ومواد الحقيقة والعلم قد نقحته أيد عربية، ونظمتها وعرضته بشكل مثالي قد اكتسح أوروبا... وفي مراكز العلم الأوربية لم يكن هناك عالم واحد من العلماء إلا ومد يديه للكنوز العربية هذه؛ ليغرف منها ما شاء الله له أن يغرف، وينهل منها كما ينهل الظمان من الماء العذب... ولم يكن هناك كتاب واحد من بين الكتب التي صدرت في أوروبا آنذاك إلا وقد ارتوت صفحاته بالري العميم من الينابيع العربية، وأخذ عنها إيماءاته، وظهر فيه تأثيرها واضحا كل الوضوح، ليس فقط في كلماته العربية المترجمة، بل وفي محتواه وأفكاره»⁽²⁾.

وتقول أيضا: «إن هذه القفزة السريعة المدهشة في سلم الحضارة -التي قفزها أبناء الصحراء، والتي بدأت من اللاشيء- هي جديرة بالاعتبار في تاريخ الفكر الإنساني. وإن انتصاراتهم العلمية المتلاحقة التي جعلت منهم

3- أتئين دينيه: محمد رسول الله ص 343، نقلا عن د. راغب السرجاني: ماذا قدّم المسلمون للعالم ص 734.

1. زيجريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب ص 305، 306.

سادة للشعوب المتحضرة لفريدة من نوعها؛ لدرجة تجعلها أعظم من أن تقارن بغيرها، وتدعوننا أن نقف متأملين: كيف حدث هذا؟!»⁽¹⁾.

منهج البحث العلمي التجريبي عند المسلمين

144) يقول برينفولت في كتابه «تكوين الانسانية»: «العلم هو أعظم ما قدمته الحضارة العربية إلى العالم الحديث عامة، والجدير بالذكر أنه لا يوجد ناحية من نواحي النمو الحضاري إلا ويظهر للإنسان فيها أثر الحضارة والثقافة العربية، وإن أعظم مؤثر هو الدين الاسلامي، الذي كان المحرك للتطبيق العلمي على الحياة، وإن الادعاء بأن أوروبا هي التي اكتشفت المنهج التجريبي إدعاء باطل وخال من الصحة جملة وتفصيلا، فالفكر الاسلامي هو الذي قال: انظر، وفكر، واعمل، وجرب حتى تصل إلى اليقين العلمي»⁽²⁾.

145) تقول زيجريد هونكه: «لقد طور العرب بتجارهم وأبحاثهم العملية ما أخذوه من مادة خام عن الإغريق، وشكلوه تشكيلا جديدا، فالعرب -في الواقع - هم الذين ابتدعوا طريقة البحث العلمي الحق القائم على

¹ المصدر السابق، ص 354.

1- علي عبد الله الدفاع، لمحات من تاريخ الحضارة الإسلامية والعربية ص55.

التجربة... إن العرب لم ينقذوا الحضارة الإغريقية من الزوال ونظموها ورتبوها ثم أهدوها إلى الغرب فحسب؛ إنهم مؤسسو الطرق التجريبية في الكيمياء، والطبيعة، والحساب، والجبر، والجيولوجيا، وحساب المثلثات، وعلم الاجتماع، وبالإضافة إلى عدد لا يحصى من الاكتشافات والاختراعات الفردية في مختلف فروع العلوم - والتي سُرق أغلبها ونُسب لآخرين - قدم العرب أثمن هدية؛ وهي طريقة البحث العلمي الصحيح، التي مهدت أمام الغرب طريقه لمعرفة أسرار الطبيعة وتسلطه عليها اليوم»⁽¹⁾.

وتضيف هونكه قائلة: «والواقع أن روجر بيكون، أو باكوفون فارولام، أو ليوناردو دافنشي، أو جاليليو، ليسوا هم الذين أسسوا البحث العلمي؛ إنها السابقون في هذا المضمار كانوا من العرب، والذي حققه ابن الهيثم - الخازن كما هو معروف عند الأوربيين - لم يكن إلا علم الطبيعة الحديث، بفضل التأمل النظري والتجربة الدقيقة».

146) يقول فلورين كاجوري: في كتابه «تاريخ الفيزياء»: «إن علماء العرب والمسلمين هم أول من بدأ ودافع بكل جدارة عن المنهج التجريبي،

2- زيجريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب ص401، 402.

فهذا المنهج يعتبر مفخرة من مفاخرهم، فهم أول من أدرك فائدته وأهميته للعلوم الطبيعية، وعلى رأسهم ابن الهيثم⁽¹⁾.

147) يقول دونالد هيل في كتابه «العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، ترجمة أحمد فؤاد باشا ص 102»: «لقد اعتبر الرازي بحق واحدا من المؤسسين الرئيسيين للكيمياء الحديثة؛ بفضل مقارنته المنهجية وإصراره على ضرورة العمل التجريبي».

148) يقول ماكس فانتيجو: «كل الشواهد تؤكد أن العلم الغربي مدين بوجوده إلى الحضارة العربية الإسلامية، وأن المنهج العلمي الحديث القائم على البحث والملاحظة والتجربة، والذي أخذ به علماء أوروبا، إنما كان نتاج اتصال العلماء الأوربيين بالعالم الإسلامي عن طريق دولة العرب المسلمين في الأندلس» (انظر: ماكس فانتيجو: في كلمة له أمام مؤتمر الحضارة العربية الإسلامية المعقود في جامعة برنستون في واشنطن عام 1953م).

149) يقول ول ديورانت في كتابه «قصة الحضارة»: «إن الثقافة العربية نمت في علم الكيمياء بالطريقة التجريبية العلمية، وهي أهم أدوات

1) انظر: علي عبد الله الدفاع: العلوم البحتة في الحضارة العربية الإسلامية ص303.

العقل الحديث وأعظم مفاخره، ولما أعلن روجر بيكن هذه الطريقة إلى أوروبا بعد أن أعلنها جابر بن حيان بخمسمائة عام كان الذي هداه إليها هو النور الذي أضاء له السبيل من عرب الأندلس، وليس هذا الضياء نفسه إلا قبسا من نور المسلمين في الشرق»⁽¹⁾.

150) يقول سيديو في تاريخ العرب العام: «إن ما يميز مدرسة بغداد عن سواها هو العلمية التي سادت أعمالها، والرغبة في الانتقال من المعلوم إلى المجهول، وملاحظة الظواهر ملاحظة دقيقة لاستخلاص الأسباب من النتائج، فلا يُسلمون إلا بما استند إلى أساس من التجربة. وكان العرب في القرن التاسع الميلادي قد أصبحوا يملكون ذلك المنهج العلمي الخصب الذي كُتب له بعد ذلك بزمن طويل، أن يكون أداة فعالة في الوصول إلى اكتشافاتهم العظيمة».

151) أَلَّفَ الدكتور فرانتز روزنتال كتاباً رائعاً، أنصف فيه الحضارة الإسلامية ومنهجها العلمي الأصيل، أسماه «مناهج العلماء المسلمين في

(2) ول ديورانت: قصة الحضارة 196/13، نقلاً عن خالد سليمان الخويطر: جهود العلماء المسلمين في تقدم الحضارة الإنسانية ص252.

البحث العلمي» ذكر فيه كيف كان العالم المسلم ينظر إلى المشكلات الهامة المتصلة بالبحث العلمي، وكيف كان يفكر فيها، والأصول المتبعة في البحث العلمي لدى علماء العرب المسلمين.... هذه الدراسة تضطلع بالإجابة على كثير من التساؤلات حول المنهجية الإسلامية، وتلقي في الوقت نفسه ضوءاً على طبيعة الحضارة الإسلامية وطوابعها الفارقة، وعلى مدى الوشيجة التي تربطها بالحضارة الكلاسيكية. استطاع المؤلف في هذه الدراسة أن يبين كيف كان لدى العلماء العرب منهج علمي واضح راسخ الأصول، قائم على احترام الرواية والدقة في النقل والأمانة العلمية والنقد الداخلي والخارجي للنصوص، مع شرح مستفيض للأساليب النقدية التي كانوا يتبعونها، وحدود ذلك النقد، وتبيان لطبيعة البحث العلمي، وتردده بين التخصص والتبسط، وقيام جانب منه على التجربة، ومدى تطوره وتقدم أساليبه على مر العصور، وبالجملة فإن هذا الكتاب لا يقف فحسب عند إظهار صورة المنهج العلمي الذي كان العلماء يعملون بهديه بل يوضح مدى الروح العلمية التي كانوا يتمتعون بها⁽¹⁾.

1. فرانتر روزنتال، ترجمة د. أنيس فريحة.

152) يقول فون كريمير عند وصفه النشاط العلمي عند المسلمين : «وإن أعظم نشاط فكري قام به العرب يبدو لنا جلياً في حقل المعرفة التجريبية ضمن دائرة ملاحظاتهم واختباراتهم. فانهم كانوا يبذلون نشاطاً واجتهاداً عجبياً حين يلاحظون ويمحصون، وحين يجمعون ويرتبون ما تعلموه من التجربة أو أخذوه من الرواية والتقليد. ولذلك فان إسلوبهم في البحث أكبر ما يكون تأثيراً عندما يكون الأمر في نطاق الرواية والوصف»⁽¹⁾.

نماذج حية

153) جاء في كتاب «جهود العلماء المسلمين في تقدم الحضارة الإنسانية ص 257:253» لمؤلفه خالد سليمان الخويطر ذِكْرُ لبعض النماذج والشخصيات الغربية العلمية المرموقة التي نهلت من علوم الحضارة الإسلامية، وترعرعت في كنفها، واستقت من علمها، وعاشت بين الورى ذاكرة لهذا الجميل، نُخبر به في كل كتاباتها ومحاضراتها، من هذه الشخصيات:

¹ (7 - 1875) Vienna, 466 (Vienna, 1875 - 7).¹ Culturgeschichte des Orients II ,

الشخصية الأولى: العالم الإنجليزي أدلارد البائي، الذي عاش في القرن الثاني عشر الميلادي، أمضى عشرين عاماً من حياته في طلب العلم، في صقلية والشام. وفيها تعلم اللغة العربية، وبعد هذه المدة عاد إلى بلاده (عام 1130م)، وهو مصاب بصدمة حضارية مما رآه لدى المسلمين مقارنة بوضع القارة الأوروبية المتخلف، وفي ذات العام الذي عاد فيه من رحلاته العلمية أصدر كتابه المشهور «الأسئلة الطبيعية» وفيه يبدي انبهاره بنظرة المسلمين العلمية وتقدمها على المدارس اللاتينية في مجال المنهج التجريبي، وقد استخدم في كتابه ذلك طريقة المسلمين في السؤال والجواب، وقال إن غرضه شرح ما تعلمه من أساتذته المسلمين، وقال بأن علوم المسلمين، أفضل من علوم المسيحيين، وأنه تعلم من أساتذته العرب أن يسترشد بالعقل. وفي عام (520 هـ - 1126م) قام بترجمة جداول حساب المثلثات للخوارزمي.

الشخصية الثانية: العالم الشهير روجر بيكون، من علماء القرن الثالث عشر الميلادي، ولد في (سمرست) في بريطانيا. ولعله يكون أكثر النماذج الصارخة وضوحاً في مدى تغلغل التفكير الحر القادم من بلاد الإسلام، في أوروبا، ورغم صورة المبالغة التي رسمت لشخصه وأثره وآثاره وتأثيره،

فقد كانت صورة الحقيقة أقل بكثير من أبعاد صورة التهويل والمبالغة تلك، وبين النقيضين يرسم لنا «ول ديورانت» صورة معتدلة ومنصفة لهذا الرجل. حيث قال: «ازدادت شهرة روجر بيكون حتى حد المبالغة الشديدة الخرافية، وقيل عنه: إنه مخترع البارود، وأنه بطل التفكير الحر، وأنه على خط معاد للكنيسة طوال حياته، التي ملأت بالاضطهاد، وأنه المبتكر للتفكير الحديث.... ثم يقول: الصورة الآن بدأت تنقلب، فإنه كان لديه «أي بيكون» فكرة مشوهة عن التجارب العلمية التي لم يجر منها إلا القليل، وأنه أكثر تديناً من البابا، وكتبه مليئة بالخرافات والسحر، والخطأ في الاقتباس «أو السرقة»، والتهم الكاذبة، والقصص المخترعة.... ثم يقول «باحثاً له عن العذر»: هذا صحيح ولكن الصحيح أيضاً: أن تجاربه القليلة ساعدت على دعم مبدأ التجربة العلمية وقيامها فيما بعد، وأن تمسكه بالدين كان مDAHنة منه لكسب تأييد البابا ورجاله، للوقوف مع الحركة العلمية، أما وقوعه في الأخطاء فهي عدوى زمانه، أو من عجلته التي سببها حرصه على استيعاب علوم كثيرة في وقت قصير ودون تركيز، أما مدحه لنفسه فهي البلمس الشافي لتجاهل عبقريته، وكذلك هجومه على الآخرين كان تنفيساً عن روح محطمة».

ومهما يكن من حقيقة ما ينسب إلى هذا الرجل، فإنه — بلا ريب — قد ظهر من منهجه مدى إعجابه بالمسلمين، وعلومهم ومعارفهم، وطريقة تفكيرهم. وهو وإن لم يصرح بهذا إلا أن مواقفه، وبعض عباراته، تدل على ذلك دلالة قطعية.

لقد درس روجر بيكون في أكسفورد، وسافر إلى إيطاليا لدراسة الطب وهناك اطلع على التراث الطبي للمسلمين. وقد أجاد إلى جانب اللاتينية، العبرية واليونانية، ودرس اللغة العربية. ومن أهم ملامح شخصيته، تفكيره الحر، الذي دفعه إلى أن يعجب بالعلوم الإسلامية، ويهزأ بالكنيسة عندما تصف المسلمين بالكفرة ويقول: كيف يكون ذلك وهم يتلقون الوحي من الله. وعندما ابتعث إلى باريس للدراسة عام (1240م)، ثم التدريس فيها عام (1251م) قال عن الأوساط العلمية هناك: «إن أساتذة باريس لا يتقنون غير اللغة اللاتينية، ولا يصرفون من وقتهم غير القليل للعلم، ويكثرون من الجدل»، ودعا مراراً إلى تحرر العقل، والتجرد من الهوى والأساطير، وإلى البحث عن الحكمة أينما كانت عند المسلمين (الكفرة في نظر الكنيسة) أو اليهود، أو عند العامة الأقل شأنًا.

وفي آخر حياته تعرض للسجن، عقاباً له من الكنيسة التي وجه لها انتقاداً لاذعاً، وجعلها المتهم الأول لتدهور الحياة في أوروبا، ومات في سجنه ذاك، وكان قبل ذلك يداهن الكنيسة ويرى أن العلم وسيلة لفهم الدين وأن الدين لا يعارض العلم.

وعلى إشراقة هذه الأفكار التي اقتبسها روجر من المسلمين على وجه التأكيد، إلا أنه لم يكن وفيها لها. وإضافة إلى ما نسب إليه ول ديورانت، من إنحراف في تطبيق المنهج، نضيف هنا، أن كتبه لا تخلو من بعض المواضع التي توحي بأنه يؤمن بالترهات المعاصرة له، المنبثقة أصلاً من العقيدة النصرانية المنحرفة، وكتابها المحرف، بل إن (ول ديورانت) يقول عنه: أنه قَبْلَ هو والبرت العظيم فكرة مسيحية قديمة تقول بإمكان وجود عالم آخر وخلق آخرين تحت الأرض.

إن ما ينسب إلى بيكون من رفض للفلسفة الأسطورية، والشك في المراجع القديمة، وامتداح العلوم، والسير على خط علمي منهجي، أو الدعوة إليه، لم يكن من بنات أفكاره أو من إفراز عبقريته، بل لم تكن تلك الأفكار سوى صدى الحضارة الإسلامية في عقل وقلب بيكون.

ويقول ول ديورانت وهو بصد تقييم دور هذا الرجل: إن روجر بيكون، وفرانسيس بيكون لم يكونا عالمن بل كانا من فلاسفة العلم.

وهذا الحكم من ول ديورانت على دور روجر بيكون يقودنا إلى مظهر هام من مظاهر التبعية الفكرية للحضارة الإسلامية عند بيكون حيث يبدو جلياً مدى تأثيره بالمنهج الأخلاقي في مسيرة الحضارة، حيث يرى أن العلم ونظرياته غير ذات جدوى، إذا لم تسم بالإنسان إلى الأخلاق التي تحقق السعادة والعمل الصالح، وأن العلم وسيلة العمل الصالح.

يقول عن الأخلاق: (... الفلسفة الأخلاقية وحدها هي التي نستطيع أن نقول عنها ... أنها عملية في جوهرها لأنها تبحث في سلوك الإنسان في الفضيلة، والرذيلة، في السعادة، والشقاء، والعلوم الأخرى كلها لا قيمة لها، إلا من حيث أنها تعين على العمل الصالح، وعلى هذا الاعتبار تصبح العلوم (العملية) كالتجارب، والكيمياء، وغيرها علوم نظرية إذا قورنت بالعمليات التي تعني بها العلوم الأخلاقية، والسياسية، وعلم الأخلاق هذا هو سيد كل فرع من فروع الفلسفة).

إنك إذا تأملت ما سبق قد تسأل نفسك من الذي يتحدث يا ترى؟ هل هو ابن رشد أم الفارابي، أم ابن طفيل، هل هو فيلسوف بغدادى، أم اندلسي؟ في الحقيقة إنهم كل هؤلاء على لسان تلميذ أوروبي من تلاميذهم، ولكنه تلميذ عاق نسب كل شيء لنفسه ونسي فضل الآخرين عليه.

الشخصية الثالثة: العالم الأسباني أرندل الفلانوفى، القرن الرابع عشر الميلادى، ولد فى بلنسية، وفيها تعلم العربية، والعبرية، واللاتينية، ودرس الطب فى نابولى. وطاف بباريس، ومونبلييه، وبرشلونة، وروما... وخاض فى علوم كثيرة، كالطب، والكيمياء، والتنجيم، والسحر، واللاهوت، واتصل بالملوك والبابوات. ونتيجة للتنوير الذى سرى فى عقله من جراء رشفه من عدوبة العربية والعلوم الإسلامية، فقد ظهر هذا واضحاً فى سلوكه وأرائه الثائرة على الطبقة الإقطاعية فى أوروبا، والتي كان على رأسها البابا وملوك أوروبا، مما عرضه للتهمة بالسحر والإلحاد وحكم عليه بالسجن، ولكن علاقته بالبابا جعلت الأخير يفرج عنه، ورغم أنه عالج البابا من حصى فى الكلى إلا أنه استمر فى نهجه المضاد للكنيسة، وكان فى كل مرة ينجو بسبب علاقته بالملوك الذين يداوهم من أسقامهم.

إنك ترى بعد هذا بوضوح الأثر الذي تركه الفكر الإسلامي في عقل آرنلد، وما مناهضته للكنيسة، والإقطاع، إلا لأنه تعلم من المسلمين أن العقل حر وأن العلم واسع، وأن ليس لأحد وصاية فكرية على أحد باسم الدين، وذلك لأنه رأى الحرية الفكرية عند الأندلسيين ورأى أن تدينهم لم يمنعهم من التفكير. ورأى أن دينهم لا يعارض العلم بل إنه يدعو إليه ويحث عليه.

وبعد، هذه نماذج ثلاث، لعلها تكون كافية، في إعطاء البعد الحقيقي لذلك الأثر، أو بالأصح الانقلاب الذي أحدثه المسلمون بعلمهم ومدنيتهم وأخلاقهم في الحياة الأوروبية في قرونها الوسطى

شخصيات إسلامية شهد لها الغرب

154 أسطورة المغرب: محمد بن عبد الكريم الخطابي

إنه القائد العظيم الذي استلهم منه ثوار آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية معنى الكفاح المسلح، وأصبح اسمه رمزاً لثوار العالم في الأرض كلها... إنه قائد معركة «أنوال» التي كانت وبلا شك يوماً من أيام الله الخالدة...

قال عنه الرئيس الكوبي الراحل «فيدل كاسترو» في كتابه «حياتي»: «إنَّ تكتيكات حرب العصابات التي استخدمها الخطَّابي كانت ملهمة لكل من: ماو تس تونغ وهو شي منه وتشي جيفارا»⁽¹⁾.

155 عملاق العثمانيين: سليمان القانوني

ذاك الرجل الذي قال عنه المؤرخ الألماني هاملر: «لقد كان هذا السلطان أخطر علينا من صلاح الدين نفسه».

بعث إليه ملك فرنسا «فرنسيس الأول» رسالة حزينة يستغيث به، عندما وقع أسيراً في يد الأسبان، ويستنجد فيها بخليفة المسلمين ويرجوه أن يرسل قوات ردع إسلامية تحرره وتحرر فرنسا من الغزاة الأسبان.

أرسل جورج الثاني ملك إنجلترا والغال «فرنسا» والسويد والنرويج، إلى الخليفة هشام الثالث في بلاد الأندلس رسالة بقول فيها: «بعد التعظيم والتوقير... فقد سمعنا عن العلم العظيم في بلادكم العامرة، فأردنا نشر العلم في بلادنا، وقد أرسلنا لكم بعثة من بنات أشرف الإنجليز، وعلى

1- د. جهاد الثرباني، مائة من عظماء أمة الإسلام، دار التقوى، ط72، عام 2017، ص17.

رأس هذه البعثة ابنة شقيقنا الأميرة دوبات، ومعها هدية لمقامكم الرفيع أرجو أن تتكرموا بقبولها».

وكانت الهدية شمعدانات وأنية من الذهب الخالص لا تقدر بثمن....فرد علية خليفة المسلمين: «أما هديتكم فقد تلقيتها بسرور، وأبعث إليكم بغالي الطنافس الأندلسية، وهي دليل على محبتنا والسلام».

وجاءت بعثة الإنجليز للأندلس، ومكثن فيها، ينهلن من علومها ومعارفها، وتزوجن من المسلمين.

156) القائد البطل: صلاح الدين الأيوبي

يقول مكسيم رودنسون في كتابه «الصورة الغربية والدراسات الغربية والإسلامية»: «أثار العدو الأكبر صلاح الدين إعجابا واسع الانتشار بين الغربيين؛ فقد شن الحرب بإنسانية وفروسية برغم قلة من بادلوه هذه المواقف، وأهمهم ريتشارد قلب الأسد».

ويقول توماس أرنولد في كتابه «الدعوة إلى الإسلام»: «ويظهر أن أخلاق صلاح الدين الأيوبي وحياته التي انطوت على البطولة، قد أحدثت في أذهان المسيحيين في عصره تأثيرا سحريا خاصا، حتى إن نفرا من الفرسان

المسيحيين قد بلغ من قوة انجذابهم إليه أن هجروا ديانتهم المسيحية، وهجروا قومهم وانضموا إلى المسلمين».

كذلك يسجل ديورانت في قصة الحضارة تعجب المؤرخين المسيحيين من عظمة صلاح الدين: «كان صلاح الدين مستمسكا بدينه إلى أبعد حد، وأجاز لنفسه أن يقسو أشد القسوة على فرسان المعبد والمستشفى؛ ولكنه كان في العادة شفيقا على الضعفاء، رحيفا بالمغلوبين، يسمو على أعدائه في وفائه بوعده سموًا جعل المؤرخين المسيحيين يعجبون كيف يخلق الدين الإسلامي - الخاطيء في ظنهم - رجلاً يصل في العظمة إلى هذا الحد».

وبعد موت صلاح الدين، وغزو الإفرنجية الشام، ذهب الجنرال الفرنسي «غورو» إلى قبر سيدنا صلاح الدين الأيوبي، وركله بقدمه وقال: «ها قد عدنا يا صلاح الدين».

الرسول صلى الله عليه وسلم في نظر الغرب

(157) يقول الكاتب الإسكتلندي توماس كارليل: «لسنا نعدُّ محمدًا قطُّ

رجلاً كاذبًا متصنِّعًا، يتذرَّع بالحيل والوسائل إلى بُغْيَةٍ، أو يطمع إلى

درجة مُلك، أو سلطان، أو غير ذلك من الحقائق والصغائر، وما الرسالة

التي أدَّأها إلَّا حقُّ صريح، وما كلمته إلَّا صوت صادق صادر من العالم

المجهول، كلا، ما محمد بالكاذب ولا الملقِّق، وإنما هو قطعة من الحياة قد
تَفَطَّرَ عنها قلب الطبيعة، فإذا هي شهاب قد أضاء العالم أجمع»⁽¹⁾.

158) يقول عالم الاجتماع غوستاف لوبون: «إنني لا أدعو إلى بدعة مُحدَّثة،
ولا إلى ضلالة مستهجنَّة، بل إلى دين عربي قد أوحاه الله إلى نبيِّه محمد،
فكان أمينًا على بثِّ دعوته بين قبائل تلهَّت بعبادة الأحجار والأصنام،
وتلذَّذت بِثَرَّهَاتِ الجاهلية، فجمع صفوفهم بعد أن كانت مبعثرة،
ووحَّدَ كلمتهم بعد أن كانت متفرِّقة، وَوَجَّهَ أنظارهم لعبادة الخالق،
فكان خير البرية على الإطلاق حُبًّا ونسبًا وزعامة وَنُبُوَّة، هذا هو محمد
الذي اعتنق شريعته أربعائة مليون مسلم، منتشرين في أنحاء المعمورة،
يُرْتَلُونَ قرآنًا عربيًّا مبيِّنًا»⁽²⁾.

ويقول غوستاف لوبون في موضع آخر: «فرسول كهذا جدير باتِّباع رسالته،
والمبادرة إلى اعتناق دعوته؛ إذ إنها دعوة شريفة، قِوَامُهَا معرفة الخالق،
والحُضُّ على الخير، والردع عن المنكر، بل كل ما جاء فيها يرمي إلى الصلاح

1- توماس كارليل: الأبطال، ص58-60.

2- جوستاف لوبون: حضارة العرب ص67.

والإصلاح، والصلاح أنشودة المؤمن، وهو الذي أدعو إليه جميع النصارى».

159) يقول المفكر البريطاني لين بول: «إن محمداً كان يتَّصفُ بكثير من الصفات، كاللطف والشجاعة وكرم الأخلاق، حتى إن الإنسان لا يستطيع أن يحكم عليه دون أن يتأثر بها تطبُّعُه هذه الصفات في نفسه، ودون أن يكون هذا الحكم صادراً عن غير ميل أو هوى، كيف لا؟! وقد احتمل محمد عداة أهله وعشيرته سنوات بصبر وجَلد عظيمين، ومع ذلك فقد بَلَغ من نُبله أنه لم يكن يسحب يده من يد مصافحه حتى لو كان يصفح طفلاً! وأنه لم يمرَّ بجماعة يوماً من الأيام -رجالاً كانوا أم أطفالاً- دون أن يُسلِّم عليهم، وعلى شفثيه ابتسامه حُلوة، وبنعمة جميلة كانت تكفي وحدها لتسحر سامعيها، وتجذب القلوب إلى صاحبها جذباً»⁽¹⁾.

160) يقول الأديب الإنجليزي جورج برنارد شو: «لقد كنت دائماً أحتفظ لدين محمدٍ عندي بأعلى التقدير؛ وذلك بسبب حيويَّته المدهشة، إنه الدين الوحيد الذي يبدو لي أنه يمتلك القدرة على استيعاب تغير

1- لين بول: رسالة في تاريخ العرب، نقلاً عن عفيف عبد الفتاح طبارة: روح الدين الإسلامي ص438.

أطوار الحياة بما يجعله محل إعجاب لكل العصور. لقد درست محمدًا -
ذلك الرجل العجيب - وفي رأبي أنه أبعد ما يكون عمَّن يسمى ضد
المسيح، ويجب أن يُسمَّى منقذ الإنسانية.

إنني أعتقد لو أن شخصًا مثله تولى الحكم المطلق للعالم المعاصر، لنجح في
حل مشاكله بطريقة تجلب له ما هو في أشد الحاجة إليهما من سلام وسعادة.
لقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولًا في أوروبا الغد، كما أنه بدأ يكون
مقبولًا في أوروبا اليوم»⁽¹⁾.

161) يقول المستشرق الإنجليزي الكبير وليم موير: «امتاز محمد بوضوح
كلامه، ويسر دينه، وأنه أتم من الأعمال ما أدهش الألباب، لم يشهد
التاريخ مصلحًا أيقظ النفوس، وأحيا الأخلاق الحسنة، ورفع شأن
الفضيلة في زمن قصير كما فعل محمد»⁽²⁾.

(1) الحسيني الحسيني معدي: الرسول في عيون غريبة منصفة ص 70.

(2) وليم موير: حياة محمد ص 31.

ويقول أيضاً: «ومهما يكن هناك من أمر فإن محمداً أسمى من أن ينتهي إليه الواصف، وخبيرٌ به مَنْ أَمَعن النظر في تاريخه المجيد، وذلك التاريخ الذي ترك محمداً في طليعة الرسل ومفكري العالم»⁽¹⁾.

162) يقول المستشرق الأمريكي الكبير واشنطنجتون إيرفنج: «كانت تصرفات الرسول في أعقاب فتح مكة تدلُّ على أنه نبي مرسل، لا على أنه قائد مظفر؛ فقد أبدى رحمةً وشفقةً على مواطنيه، برغم أنه أصبح في مركز قوي، ولكنه تَوَجَّح نجاحه وانتصاره بالرحمة والعفو»⁽²⁾.

163) يقول رئيس الوزراء الهندي الأسبق جواهر لال نهرو: «كان محمد كمؤسسي الأديان الأخرى ناقماً على كثير من العادات والتقاليد التي كانت سائدة في عصره، وكان للدين الذي بَشَّرَ به -بما فيه من سهولة وصراحة وإخاء ومساواة- تجاوبٌ لدى الناس في البلدان المجاورة؛ لأنهم ذاقوا الظلم على يد الملوك الأوتوقراطيين والقساوسة المستبدين، لقد تعب الناس من النظام القديم، وتاقوا إلى نظام جديد، فكان

(3 المصدر السابق ص31

(4 واشنطنجتون إيرفنج: حياة محمد ص72.

الإسلام فرصتهم الذهبية؛ لأنه أصلح الكثير من أحوالهم، ورفع عنهم كابوس الضيم والظلم»⁽¹⁾.

164) يقول المؤرخ البلجيكي جورج سارتون: «وخلاصة القول... إنه لم يُتَّخَ لنبي من قبل ولا من بعد أن ينتصر انتصارًا تامًّا كانتصار محمد»⁽²⁾.

165) يقول مايكل هارت في مقدمة كتابه «الخالدون مئة وأعظمهم محمد»: «لقد اخترت محمدًا في أول هذه القائمة ولا بد أن يندهش الكثيرون ولكن محمدًا هو الانسان الوحيد الذي نجح نجاحًا مطلقًا على المستويين الديني والدينيوي، وهو قد دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات وأصبح قائدًا سياسيًا وعسكريًا ودينيًا، وبعد 13 قرن من وفاته فإن أثر محمد عليه السلام ما يزال قويًا».

166) يقول البروفسور غريسيب مدير جامعة برلين: «أيها المسلمون ما دام كتابكم المقدس عنوان نهضتكم موجوداً بينكم، وتعاليم نبيكم محفوظة عندكم، فارجعوا إلى الماضي لتؤسسوا المستقبل»⁽³⁾.

(1) جواهر لال نهرو: لمحات من تاريخ العالم ص 27.

(2) سارتون: الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط ص 28-30.

(3) حسان شمسي باشا: هكذا كانوا يوم كنا، ص 9

167) يقول مونتجمري وات -رئيس قسم الدراسات العربية في جامعة أدنبره - في كتابه «الإسلام والمسيحية اليوم»: «أعتقد أن القرآن وغيره من تعبيرات المنظور الإسلامي، ينطوي على ذخيرة هائلة من الحق الإلهي، الذي ما زال يجب عليّ وأنا وآخرين من الغربيين أن نتعلّم منه الكثير. ومن المؤكد أن الإسلام مُنافِس قوي في مجال إعطاء النظام الأساسي للدين الوحيد الذي يسود في المستقبل»^(١).

168) يقول المستشرق السويسري إدوارد مونتيه - رئيس جامعة جنيف (ت 1927م): «على الرغم من التطور الخصب، بكل ما في هذه الكلمة من معنى، لتعاليم النبي صلى الله عليه وسلم، فقد احتفظ القرآن بمنزلته الثابتة؛ كنقطة البداية الرئيسية لفهم الدين، وصار يعلن دائماً عن عقيدة توحيد الله، في سموّ وجلال وصفاء دائم، مع اقتناع يقيني متميّز، من الصعب أن يوجد ما يفوقه خارج نطاق الإسلام، إن عقيدة بمثل هذه الدقة، ومجردة من كل التعقيدات اللاهوتية، وبالتالي يمكن للفهم العادي أن يتقبّلها بسهولة، فمن المتوقع أن تكون لها قدرة عجيبة -

M. watt: Islam and Christianity today ,P, IX, London,1983. -1

وهي في الواقع تمتلك هذه القدرة - على اكتساب طريقها إلى ضمائر
البشر»⁽¹⁾.

169) يقول المستشرق الإنجليزي والأستاذ بجامعة هارفارد الأمريكية
هاملتون جب في كتابه (الإسلام إلى أين؟): «لا يزال لدى الإسلام
فضل آخر يبذله من أجل قضية الإنسانية؛ فهو يقف، على كل حال،
أقرب إلى الشرق أكثر من موقف أوروبا منه، كما أنه يمتلك تقاليد رائعة
فيما يتعلّق بالتفاهم والتعاون بين أجناس البشر؛ فلم يحرز أي مجتمع
آخر - غير إسلامي - مثل هذا السجل من النجاح في التوحيد بين ذلك
القدر الهائل والمتنوع من الأجناس البشرية؛ بتحقيق المساواة أمام
القانون، وتكافؤ الفرص للجميع. ولا يزال الإسلام قادرًا على تحقيق
مصالحة بين عناصر الجنس البشري وتقاليدها التي تستعصي على
التصالح. وإذا قُدِّر أن يحل التعاون يوماً ما محلّ التعارض القائم بين
المجتمعات الكبيرة في الشرق والغرب؛ فإن وساطة الإسلام تصبح

E. Montet: La propaganda Chretinne et ses Adversaires ¹
Musulmans, Paris 1980, quoted by T.W. Arnold in ; The
preaching of Islam, London 1913, pp. 313.

شرطاً لا غنى عنه؛ إذ يكمن بين يديه إلى حد كبير حل المشكلة التي تواجه أوروبا في علاقتها بالشرق»⁽¹⁾.

(170) يقول برنارد لويس: «وعلى الرغم من الدور غير الأخلاقي لبرنارد لويس - أستاذ صموئيل هتجتون - فإنه كتب عن الإسلام والحضارة الإسلامية يقول: «أرسل الله الملك جبريل ليُلمي القرآن على محمد، بهذا يكمل القرآن سلسلة الوحي التي سبق أن أنزل إلى أنبياء اليهود وإلى عيسى، ومن ثم يكون محمد أعظم الأنبياء وخاتمهم، ويكون القرآن هو (الكتاب) الأخير، والتعبير الكامل عن إرادة الله فيما يتعلق بحياة الناس... بينما الإسلام في إخلاصه للقرآن الصحيح لله سبحانه وتعالى إنها هو حضارة؛ إذ لا يمكن فصل محتواه الديني عن تنظيم حياة البشر؛ ذلك التنظيم الذي كان يوضع موضع التنفيذ فوراً بمجرد التنزيل.

وعندما مات محمد، كانت بعثته الروحية والنبوية قد اكتملت، وكانت مهمته التي حددها الله هي: استعادة التوحيد الحقيقي الذي علّمه وبلّغه الأنبياء السابقون، وكانت مهمة محمد - أيضاً - القضاء على الوثنية، وتبليغ

¹ H.Gibb: Whither Islam? , London,1932, p.379.

الوحي الذي جدّد الدين الحقيقي والشريعة الإلهية، وكان هذا ما فعله محمد أثناء حياته، وعند موته عام 11هـ - 632م كانت إرادة الله قد أوحى بها كاملةً إلى البشرية، ولن يكون بعد ذلك نبي أو وحي آخر.

ويزعم بعضهم أحياناً أن الدين الإسلامي قد فُرض بالقوّة، إن هذا القول غير صحيح، مع أن عمليات الفتح قد أسهمت إلى حدّ كبير في امتداد الإسلام والعروبة، فبعد وفاة النبي بقرون، وفي إمبراطورية واسعة يحكمها ورثة محمد، وتضم العديد من الأقطار والشعوب، كان الإسلام هو الدين السائد، وكانت اللغّة العربية تحلّ سريعاً محلّ اللغات الأخرى وتفرض نفسها وخاصة في الإدارة والتجارة والتعليم.

لقد قامت حضارةً أصيلةً مستوحاة من العقيدة الإسلامية، ومتمتعة بحماية الدولة الإسلامية، ومدعّمة بثراء اللغة العربية، حضارة تنمو وتتّسع وتعيش طويلاً، وقد صنعها الرجال والنساء من مختلف الأعراف والديانات، وقد اصطبغ كل شيء فيها بالعروبة والمبادئ والقيم الإسلامية.

(171) يقول روجيه دي باسكيه - الصحفي السويسري الذي درس الإسلام واعتنقه هو وزوجته الهولندية - في كتابه «اكتشاف الإسلام»:

«لقد جاء الإسلام إلى الناس لمساعدتهم على عبور هذه المرحلة الأخيرة من التاريخ العالمي دون أن يتعرّضوا للضياع، وباعتباره الوحي الأخير في سلسلة النبوات، فإنه يقدم وسائل لمقاومة الفوضى التي تسود العالم حالياً، وإقرار النظام والنقاء في داخل الإنسان، وإيجاد التآلف والانسجام في العلاقات الإنسانية، وتحقيق الهدف الأسمى الذي من أجله دعانا الخالق إلى هذه الحياة، إن الإسلام يخاطب الإنسان الذي يعرفه معرفة عميقة ودقيقة، محددًا بالضبط وضعه بين المخلوقات وموقفه أمام الله.

ورُبَّ معترض يقول: إنَّ حال المسلمين اليوم لا يعطي انطباعاً جديداً عن إمكانية تحقيق السعادة والسلام، وهنا يوجد الكثير للردِّ به على مثل هذا الاعتراض، ونكتفي الآن بإيراد بعض الملاحظات الموجزة قبل العودة للحديث عن أوضاع العالم الإسلامي...

إن المسلمين بوجه عامٍّ على وعي تام بأنهم عاشوا بعيداً جداً عن المثل الحقيقية للوحي الذي تلقاه النبي محمد، وهم يعترفون صراحةً بأنهم لو اتبعوا تعاليم الإسلام، فإن حياتهم كلها ستتغير إلى أفضل حال».

172) يقول مارسيل بوا في كتابه «إنسانية الإسلام»: «لا شك في أن الوحي الديني قد ظهر في منطقة الشرق الأوسط - مهد ديانات التوحيد الثلاث - ولعلَّ الإسلام يعتبر هو التجلّي الأخير والأكمل للحضارة في هذه المنطقة من العالم، ولقد نفذت أفكاره إلى أوروبا وآسيا باللغة العربية، عبر البحر الأبيض المتوسط وفوق جبال البرانس.

وفي كلمة موجزة فإن الإسلام حضارة أعطت مفهومًا خاصًا للفرد، وحددت بدقة مكانه في المجتمع، وقدمت عددًا من الحقائق الأولية التي تحكم العلاقات بين الشعوب، كما أن هذه الحضارة لم تقدم فقط مساهمتها التاريخية الخاصة في الثقافة العالمية، ولكنها كانت تؤكّد أيضًا، ولها مبرراتها، على تقديم حلول للمشاكل الرئيسية للأفراد والمجتمعات، والمشاكل الدولية التي تثير الاضطرابات في العالم المعاصر.

إن الإسلام هو اتصال بين الله وبين الإنسان، بل إن جوهر هذا الدين يرتبط باسمه، فعندما تكون هناك ترجمة صحيحة، فالإسلام هو "تسليم" يقيني إيجابي وعن طواعية للمشيئة الإلهية، ونسب الإسلام، بجذره اللغوي إلى الكلمة العربية التي تعني السلام والطمأنينة؛ وعلى كل حال، فإن هذين المفهومين - التسليم والسلام - يلتقيان في المنظور الإسلامي.

إن القبول الورع، من الفرد أو الجماعة، باحترام الشريعة الموحي بها، إنما يعبر عن محاولة دائمة ونشطة يقوم بها الإنسان للدخول في حالة من التوازن الهادئ مع عالم فريد ومتناسك، يحكمه قرار إلهي، وعندما يكون الدين مؤسسًا على عقيدة راسخة تمامًا في توحيد الله، فإنه ينمي فكرة تحقيق عالم متوافق، تحكمه شريعة فريدة عالمية، ثابتة بلا تغيير، ومن الناحية التاريخية، فلقد أنجب هذا الدين "أمة"، وأوجد أسلوبًا للحياة والعمل والتفكير، وفي كلمة واحدة، فقد أنتج حضارة».

مؤلفات الغرب عن الحضارة الإسلامية

هذه بعض كتابات الغرب عن الحضارة الإسلامية وتفوقها العلمي، والتي هي أسطع دليل وأصدق برهان على أنها حضارة ممتازة، وإلا لما انشغلوا بدراستها والكتابة فيها. ومن أبرز مؤلفات الغربيين عن حضارتنا الإسلامية، والتي صارت مرجعًا لكل الدارسين الآن ما يلي:

1- كتاب «فضل الإسلام على الحضارة الغربية»، تأليف: مونتجو مري

وات، ترجمة: حسين أحمد أمين، مكتبة مدبولي، القاهرة 1983 م.

2- كتاب «حضارة العرب»، تأليف: جوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعير،

مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1964 م.

3- كتاب «الحضارة العربية»، تأليف: جاك ريسلر، تعريب: د. خليل أحمد

خليل، منشورات عويدات، بيروت - باريس 1993 م.

4- كتاب «الدعوة إلى الإسلام»، تأليف: سير توماس أرنولد، ترجمة: د.

حسن إبراهيم حسن، ود. عبد المجيد عابدين، وإسماعيل النحراوي،

مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1970 م.

5- كتاب «تراث الإسلام»، مجموعة منشورات وأبحاث مختلفة، إشراف:

شاخت وبوزورت، عالم المعرفة، الكويت، ترجمة: حسين مؤنس

وإحسان صدقي.

6- كتاب «تاريخ العرب العام»، تأليف: سيديو، مطبعة عيسى البابي

الخطبي، القاهرة 1969 م.

7- كتاب «المسلمون في تاريخ الحضارة»، تأليف: ستانو ودكب، الدار

السعودية، جدة 1982 م.

8- كتاب «شمس العرب تسطع على الغرب»، تأليف: زيجمرد هونكة،

منشورات دار الجليل، بيروت 1993 م.

9- كتاب «العرب تاريخ موجز»، تأليف: فيليب حتي، دار العلم للملايين،

بيروت 1980 م.

10- كتاب «إسهام المسلمين في الحضارة الإنسانية»، تأليف: حيدر

بامات، ترجمة: د. ماهر عبد القادر، دار النهضة العربية، بيروت.

11- كتاب «الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط»، تأليف: جورج

سارتون، ترجمة: د. عمر فروخ، طبعة بيروت 1952 م.

12- كتاب «عبقرية الحضارة العربية» لعدد من المؤلفين الأمريكيين، منبع

النهضة الأوروبية، ترجمة: عبد الكريم محفوظ، منشورات وزارة الثقافة،

دمشق 1982 م.

13- «الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة»، مجموعة محاضرات أُلقيت في

مؤتمر الثقافة الإسلامي في واشنطن عام 1953 م، متاح على الإنترنت

.pdf

14- كتاب: «شمس العرب تسطع على الغرب» تأليف: زيجريد هونكة،

ونقله من الألمانية للعربية: فاروق بيضون، وكمال دسوقي، دار الأفاق

الجديدة، بيروت، الطبعة الثامنة عام 1993 م.

المراجع

- 1) د. محمد عمارة: الإسلام في عيون غربية، طبعة دار الشروق، متاح على الإنترنت.pdf.
- 2) د. حسان شمسي باشا: هكذا كانوا يوم كنا، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض عام 1410 هجرية، وطبعته دار المنارة عام 1420 هـ / 1999م.
- 3) د. علي عبد الله الدفاع: لمحات من تاريخ الحضارة العربية والإسلامية، مكتبة الخانجي بالقاهرة عام 1981م.

- (4) د. راغب السرجاني: ماذا قدّم المسلمون للعالم، الجزء الأول، مؤسسة
اقرأ للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية عام 2009م.
- (5) د. مصطفى السباعي: من روائع حضارتنا، دار الوراق للنشر والتوزيع،
الطبعة الأولى عام 1999م.
- (6) د. علي عبد الله الدفاع: روائع الحضارة العربية والإسلامية في العلوم،
مؤسسة الرسالة، متاح على الإنترنت.
- (7) د. راغب السرجاني: قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، مؤسسة
اقرأ للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى عام 2009م.
- (8) خالد بن سليمان الخويطر: جهود العلماء المسلمين في تقدم الحضارة
الإنسانية، مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، الطبعة الأولى عام
2004م.
- (9) مونتجو مري وات: فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ترجمة: حسين
أحمد أمين، مكتبة مدبولي، القاهرة 1983م.
- (10) جوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مطبعة عيسى
الباي الحلبي، القاهرة 1964م.

(11) جاك ريسلر: الحضارة العربية، تعريب: د. خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت - باريس 1993 م.

(12) سير توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: د. حسن إبراهيم حسن، ود. عبد المجيد عابدين، وإسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1970 م.

(13) كتاب «تراث الإسلام»، مجموعة منشورات وأبحاث مختلفة، إشراف: شاخت وبوزورت، عالم المعرفة، الكويت، ترجمة: جرجس فتح الله، طبعة بيروت سنة 1973 م.

(14) سيديو: تاريخ العرب العام، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1969 م.

(15) ستانو ودكب: المسلمون في تاريخ الحضارة، الدار السعودية، جدة 1982 م.

(16) حيدر بامات: إسهام المسلمين في الحضارة الإنسانية، ترجمة: د. ماهر عبد القادر، دار النهضة العربية، بيروت.

(17) جورج سارتون: الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط، ترجمة: د.

عمر فروخ، طبعة بيروت 1952م

(18) كتاب «عبرية الحضارة العربية» لعدد من المؤلفين الأمريكيين، منبع

النهضة الأوروبية، ترجمة: عبد الكريم محفوظ، منشورات وزارة الثقافة،

دمشق 1982م.

(19) «الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة»، مجموعة محاضرات أُلقيت في

مؤتمر الثقافة الإسلامي في واشنطن عام 1953م، متاح على الإنترنت

.pdf

(20) د. زيجريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق

بيضون وكمال دسوقي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثامنة عام

1993م.

المحتويات

3.....	مقدمة
6.....	فضل العرب على أوروبا
25.....	دور اللغة العربية في تقدم أوروبا

- 29..... تفوق العلوم عند المسلمين إجمالاً:
- 50..... علم الرياضيات
- 63..... علم الفيزياء (البصريات)
- 66..... علم الطب والصيدلة
- 78..... طب العيون
- 80..... الصيدلة
- 82..... علم الكيمياء
- 85..... علم الموسيقى
- 91..... القانون والتشريع
- 93..... في مجال الفنون
- 94..... علم الفلك
- 98..... الزراعة
- 100..... العمارة
- 101..... أخلاق الإسلام والمدنيّة الحديثة
- 112..... فكر المسلمين الناضج
- 115..... منهج البحث العلمي التجريبي عند المسلمين
- 120..... نماذج حية
- 127..... شخصيات إسلامية شهد لها الغرب
- 130..... الرسول صلى الله عليه وسلم في نظر الغرب
- 142..... مؤلفات الغرب عن الحضارة الإسلامية
- 145..... المراجع

